الحب والحرمان

روايــة

تأليف
أسـامة الصـادق

الحب والحرمان : روايـة

تأليـــــــــف : أسامة على الصادق

الطبعة الأولـى : أغسطس ٢٠٠٨

الطبعة الثانيـة : نوفمـبر ٢٠١٣

الناشـــــــر : المؤلف

تصميم الغلاف:

المهنـــــدس: طـارق الصـادق

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة للمؤلف

oelsadek@gmail.com

محمـــــول : ٠١٢٧٩٧٠٠٣٢

إهـــــــداء

هذه الرواية تحمل بين طياتها جانب كبير من الواقع، بل وحدثت فى حقبة ما قبل قيام ثورة يوليو، فى عصر الملكية المصرية والشعب المصري يحيا حياة هادئة رغم شظف العيش للغالبية العظمى منهم.

تروى عن صداقة الطفولة البريئة بين الجنسين والتى تتطور بمرور الأعوام فتغلب عليها المصالح والأهواء بل يجتذبها الحب فدائما ما تهفو النفس البشرية إلى الجنس عندما ينمو الإنسان وبالأخص فى بداية مرحلة البلوغ رغبة في كشف الجنس الآخر تلك الأهواء والأنواء هى التى تدفع لعلاقات الحب والزواج.

متى ومن أين نبدأ ومن هو أو هى التى نبدأ به أو بها؟ غالبا ما يبدأ أي إنسان بالأقرب منه سواء قريبه أو جاره، وهذا ما يحدث لغالبية الذكور لكن ماذا يحدث لو كانت الفتاة هي الأكبر ولم تجد أمامها من يشبع رغباتها التى بدأت تظهر على السطح؟

فى هذه الرواية نتناول تلك الحالة وهي ليست نادرة أو فريدة بل متكررة ولكن القليل من الكتاب الذين يسلطون عليها الأضواء .. ومن أجل هذا أهدى تلك الرواية إلى الحب العذري العفوي الذي يبدأ بين الصغار كنبتٍ طبيعي ينمو في الوجدان ليس فيه مبالغة أو دفع وتوجيه بأن يقتدوا بالآخرين بل قد يكون دافعـــا للآبـــاء

والأمهات أن ينتبهوا لمثل تلك الأفعال وهم عنها غافلون فقد يحدث تطور لتلك العلاقة في الاتجاه الخطأ يتسبب في نتائج لا تحمد عقباها.

بطلىّ تلك الرواية كنت أعرفهم بحكم زياراتي لقريتي صيفا وكنت أشاهدهم وهما يلعبان معا بل كان يرفضا أن أشاركهما اللعب ولكن بعد مضى سنوات علمت بقصة حبهما والتى طفت على السطح بمرور الأيام ونمت بنمو الأجساد.

تدعو الرواية إلى عدم التسرع فى الحكم على الأشياء والاندفاع وراء الغيرة القاتلة والتى لا تحمد عقباها والتريث قبل الاندفاع حتى تنجلي الأمور كما توضح الرواية أن تقارب السن عنصر هام للزواج الكفء ولنجاحه ويجب ألا يكون الفارق العمرى كبيراً حتى ينشأ التفاهم والاقتناع بدلا من الشحناء والكراهية والنظر إلى الآخرين بنظرة الرغبة والتمنى، كما يجب علينا أن نغمض أعيننا عن ملاحقة الآخرين طالما تم الزواج ولابد أن تكون تلك الأعين (قانعة ، راضية كافية) بالطرف الآخر.

فى النهاية أكرر التحية لبطلي تلك الرواية .. أحدهم مازال على قيد الحياة والأخرى قابلت ربها فى ريعان شبابها ومازالت ذكراها تعيش و تحيا مع هذا الحبيب رغم مضى الزمن.

العود الأخضر النادي ... نما فى الحضر والوادى

على أطراف قرية مصرية وفى نهاية مبانيها وعلى مشارف الأرض الزراعية تعيش أسرتان من هذه القرية .. الأولى هى أسرة الشيخ "خضر" وهو شيخ المسجد ومأذون القرية وهذا هو عمله الرسمي الذي يتعيش من دخله هو وعائلته المكونة منه ومن زوجته "فريدة" وأبنه الوحيد ضياء.

الثانية هى أسرة الأسطى "نصر" وهو عامل يتبع إحدى شركات بيع المواد البترولية .. المكان الذي يعمل به مزود بسور من السلك الشائك وبه إسطبل لمبيت البغال لحمايتها من حرارة الصيف وبرودة الشتاء فهى التى تقوم بجر عربات الجاز المزودة بصهريج وبعجلتين حيث يقوم الباعة بالمرور على القرى لتقديم خدماتهم للناس .. المكان مزود أيضا بفنطاس كبير يُملأ كلما فرغ منه الجاز بواسطة عربة نقل كبيرة مزودة بصهريج .. يعيش الأسطى نصر هو وزوجته "تماضر" وأبنته "هناء" فى هذا المكان.

الأسرتان تربطهما علاقة صداقة قوية نظرا لبعدهم عن باقي مساكن القرية لأن كبانية الجاز تقع مباشرة على الطريق الترابي الواصل بين القرية والمدينة ونفس الوضع كان بالنسبة للشيخ "خضر" حيث يمتلك بضع قراريط زراعية بتلك المنطقة

ويشرف بنفسه على زراعتها ولهذا أقام منزله بها.

توطدت أواصر الصداقة والمحبة بين الأسرتين وأنعكس هذا على الطفلين "هناء و ضياء" الذين كانا يلعبان ويسيران معا كل بصحبة الآخر لا يفترقان إلا قليلا وخاصة ضياء الذي كان يصغر "هناء" بأربعة أعوام ولهذا كان يعتبرها مرشدته والتى تساعده وقت الأزمات خاصة حينما يهاجمه كلب كبير الحجم والذى كان يخيفه حيث لم يتجاوز عمره السادسة.

كان يجمع بين الطفلين الوسامة إلى حد كبير، لكن هذه النعمة من الجمال كانت واضحة جلية على الفتاة "هناء" فقد تعدى عمرها الحادية عشر وبدأت مرحلة المراهقة والتى تبين وتوضح لكل جنس مفاتنه ورغباته من الجنس الآخر بل تدفعه الى التقرب منه ومحاولة بدأ علاقة ما لإشباع الغريزة المتولدة والنامية.

كان أهم شيء يميز هناء أنها فتاة تتمتع بطول القامة بالمقارنة بزميلاتها من نفس العمر كما أنها بيضاء البشرة بخلفية حمراء أما شعر رأسها فهو طويل مسترسل أصفر اللون ولون عينيها "عسلي" لامع .. كانت مواصفاتها الجمالية رائعة وقد اكتسبت كل تلك الصفات الجمالية من والديها الذين كانت تتوافر بكلٌ منهما لأنهما من أصول شامية والذين هربوا إلى مصر من قسوة الاحتلال العثماني أثناء مهاجمة محمد٨على بجيوشه أرض الشام فهرب

الكثيرون إلى مصر تحت حماية جيشه وظلوا بها وتناسلوا.

شعرت "هناء" بميل نحو الصبي "ضياء"وتطورت صداقتها له إلى حب ورغبة ولهذا كانت تلتصق به أثناء جلوسهما للعب سويا وكانت تكثر من هندمة ملابسه وتوليه عناية كبيرة وتصفف له شعر رأسه الذي كان مُهملا .. بل كانت تحضر له بعض الحلوى من منزلها وتعطيها له فكان يشعر بسعادة لتلك المحبة من صديقته ولهذا لم يمانع أن يلعب معها فى أى وقت ولأي مدة زمنية رغم أن والدته حذرته بألا يتأخر فى اللعب وخاصة فترة الظهيرة خوفا عليه من أشعة الشمس أو تعدى بغال كبانية الجاز عليه حينما تتعارك مع بعضها البعض مستخدمة الرفص بأرجلها القوية التى تقتل الرجل البالغ إذا حصل على واحدة منها.

بدأت "هناء" تنفرد بالصبي "ضياء" فى أماكن بعيدة عن الناس ومن حين لآخر تتحسس جبهته ورقبته والطفل لاه سعيد بحب صديقته التى تناوله قطعة من العسلية قبل أن تقوم بهذا معه .

تطور الأمر الى أنها قبلته عدة قبلات علي أحد خديه ومازال غير متفهم ما وراء هذا التصرف والغرض منه، حيث إعتاد ألا يقبله أحد سوى أمه أو بعض صديقاتها وكان هذا منذ فترة حينما كان أصغر عمرا.

لم تشغله كل تلك التصرفات ووضعها جانبا سواء لشعوره

بأن "هناء" هى الصديقة الوحيدة له وهى التى تعطيه كل شيء ومن بينها تلك القبلات التى تدل على الحب مثل ما تفعل به أمه وصديقاتها أو لأنه لم يستطع أن يُحلق فى عالم أكبر من فكره ليستنتج ما وراء تلك القبلات.

أصبحت تلك هى علاقتهما سويا .. اللعب أما وقت الظهيرة فيختبئان خلف إسطبل البغال أو خلف بعض صفوف الطوب اللبن المعد للبناء .. تعطيه شيئا حلو المذاق وتلاعبه ثم تقبله علي خده .. كان يسعده هذا اما إذا كانت مكدرة الذهن وجلسا معا وقت الظهيرة فى مكانهما المعتاد بعيدا عن حرارة الشمس وأعين المتطفلين فلا تلاعبه أو تقبله فيقترب منها متسائلا:

لماذا لم تقبليني مثل أمي كسابق عهدك؟ أفزعها تشبيهه لها بأمه وهى التى تحبه وتعشقه كأنه فارس أحلامها حيث لم تجد أمامها من تبثه حبها وأنوثتها سوى تلك الدمية الهزيلة.

أصبح "ضياء" ينتظر هذا اللقاء كل يوم بشغف حيث سيحصل على قطعة حلوى وبعض قبلات شبيهه بقبلات أمه التى قلت نسبيا عن سابق عهدها، أما "هناء" فقد انعكس لعبها ولهوها مع هذا الصبي بالكثير من التورد فى ملامح الوجه والنمو البدني والأنوثة المبكرة ولاحظت أمها وبعض النساء ذلك أثناء زيارتهم لدارهم.

كان واضحا ان الفتاة تحاول إشباع غريزتها وأدى هذا إلى

المساعدة على فورة جسدها ونموها البدني والذى أنعكس عليها بالرونق والجمال مما زاد من حمرة خديها وكل تلك المواصفات تندرج فى إطار الحُسن والدلال.

بدا واضحا أن العود الأخضر النادي سوف يشتعل ويضيء ما حوله وقد يصل ضياءه الى الحضر والمدن بعد أن يغادر القرية وقد يصل مداه وشهرته إلى الوادي .. وادي النيل أى على مستوى عال مرتفع .. كانت كل التوقعات تشير إلى أن "هناء" تعدو عروس رائعة لا تناسب أحد من أبناء القرية هؤلاء الفلاحين المساكين الراغبين فى زوجة منتجة تتحمل ظروف الحياة والمعيشة الصعبة أما هذه الحورية فلا تتحمل الجلوس أسفل أشعة الشمس ساعة واحدة والقوم يتندرون على الأسطى نصر الذي أنجب ملاكا يعيش ويحيا مع البغال!!

وإذا سددت سهم الهوى ... لا بد أن تهوي طيورك في الهوا

قريبا من تلك القرية كانت توجد إحدى الوسايا "العزبة الكبيرة" والتى تخص عبد الوهاب باشا الزهيرى وقد تعدت مساحة تلك الوسية الأربعمائة فدان ويعمل بها المئات من العائلات بأبنائهم .. كان معروفا عن الزهيري باشا اعتداده بنفسه فقد رزقه الله بالنعم الكثيرة .. فهو خريج إحدى الجامعات الأوربية ويجيد اللغتين الفرنسية والإنجليزية ويحفظ العديد من أجزاء القرآن الكريم كما أنه يقرض الشعر فى بعض المناسبات وله علاقات كثيرة بكبار رجال السياسة والاقتصاد بالقاهرة وكان يغلف كل هذا بمواصفات شكلية تؤهله لذلك .. فهو طويل القامة ذا عينين خضراوين قوى البنية يعشق السباحة وصيد الأسماك كل تلك المواصفات العالية لم تُذقه طعم السعادة والهناء بسبب فقده لزوجته "مشيرة هانم" منذ عشرة أعوام ظل بعدها حزينا لا يعرف للسعادة طريقا أو منفذا.

حاول الأصدقاء والأقرباء أن يواسوه أو يعوضوه بالسهرات والتنزه وزيارة الأماكن الجميلة للتسلية دون جدوى فقد صم حواسه عن كل مباهج الدنيا بعد فقده لشريكة حياته .. أحد الأيام جلس يتصفح ألبوم صورهما معا متذكرا نعيم الله الذي أرسله مع تلك السيدة الجميلة .. إنها حواء القلوب عطر الحياة منافسة افروديت "آلهة الجمال لدى الإغريق"١٣قرينة الملكة "حتشبسوت" فى

الذكاء وُبعد النظر .. لقد استمرت حياتهما الزوجية السعيدة والتى تعدت خمسة أعوام ولم يعوضهما الله بذرية حتى وفاتها ثم فوجئ بوصيتها بعد الوفاة بأن باعت له كل نصيبها نقدا وعدا رغم انه لا يملك ثمن فداناً واحداً وهو ابن لأحد كبار رجال الدولة بالقاهرة لكنه لا يملك المال مثل ما كان يملك والده الجاه، ورغم هذا فقد أخذ برأي الفقهاء فيما قامت به الراحلة زوجته والذين أوصوا بأن يتبع الشريعة في المواريث بأن يجنب ثلث التركة كوصية له وأن تحصل شقيقتها الوحيدة على نصيبها من التركة.

نفذ شريعة الله حتى لا تتحمل المرحومة عاقبة مخالفة أمر الله وما تبقي حصل عليه وشكر الله على نعمته رغم أن الكثيرين حاولوا إثناءه عن هذا ولكنه لم يأبه لأحاديثهم التى تتعارض مع ما أمر به الله حتى تهنأ روحها في نعيم الآخرة.

كان معروفا لدى جميع الفلاحين فى تلك الناحية ما ألم بهذا الباشا الرقيق والذى وصل عمره الخمسين عاما ولكنه أصبح يجلس فى قصره بداخل عزبته ينتظر قدوم القدر فلقد زهد الحياة بعد أن طغى عليهُ حب زوجته الرقيقة المصونة والتى ذاع صيتها بين الناس فى المنطقة وأصبحت مثالا للجمال تتمنى أى سيدة أن يرزقها الله بطفلة فى جمالها، لقد فارقه كل شيء ولمن يعيش ويحيا إذاً.

أحد أيام بداية فصل الربيع ١٤وأثناء عودة الباشا من احدى

ارتباطاته عصرا وأثناء مرور سيارته بالطريق الترابي أمام كبانية "الجاز" التى يمتلكها الأسطى نصر تلف أحد إطارات السيارة .. أنعطف السائق جانبا ليقوم باستبدال الإطار .. شاهد هذا الأسطى نصر والجميع يعلم أن تلك السيارة الفارهة هى سيارة الباشا بل ولا توجد سيارة غيرها بالناحية .. هرول الأسطى نصر للترحيب بسعادة الباشا طالبا منه تشريفه بالزيارة إلى أن ينتهي السائق من إصلاح العطل ولكن الباشا شكره طالبا منه إحضار كرسي لأنه راغب بالجلوس أسفل شجرة التوت التى أورقت وريقات جديدة لامعة.

أحضر الأسطى نصر الكرسي للباشا بعد ان تأكد من نظافته من أى عوالق .. جلس الباشا يشاهد السائق وغمرته متعة الاستمتاع بالجو المحيط به ومن مشاهدة الفلاحين فى ذهابهم وإيابهم وأي فلاح يقترب من مكان جلوس الباشا يترك ظهر حماره أو جاموسته ويخلع نعليه ويسير على قدميه احتراما له.

أقبلت "هناء" بعد أن أمضت بعضا من الوقت فى مجالسة صديقها الصغير الذي لم يتجاوز الحادية عشر من عمره بينما وصل عمرها الزمني الى الخامسة عشر أما عمرها البدني فقد تعدى الثامنة عشر .. شاهدت سيارة الباشا ووالدها يقف قريبا منه فى ذل وخشوع بينما السائق يقوم بعمله والباشا مازال جالسا

أسفل شجرة التوت واضعا ساقاً على أخرى وممسكا بمنشة جميلة يبعد بها ذباب الإسطبل القادم للترحيب به.

أشار إليها والدها قائلا:

- هناء .. تعالى حبى "قبلي" على يد ساعات الباشا .. اتجهت الفتاة للباشا لتنفذ تعليمات والدها بينما أتجه الباشا بنظره إليها وهاله ما عليها من حُسن رقة وأنوثة ملفته وغير عادية .. اقتربت منه لتقبيل يده ولكنه لم يوافق على ذلك وجذب يده برفق متسائلا عن أسمها وماسحا بيده على شعرها الأصفر الناعم .. أخبرته باسمها ووجهها يكاد ينضح بالدماء من شدة خجلها بعد أن اقتربت منه حتى تلامست أنفاسهما.

أخرج الباشا ورقة نقدية وناولها لها فتمنعت ولكن والدها أمرها بقبول هدية الباشا مع تقبيل يده ورفض الباشا هذا أيضا.

غادرت هناء المكان ولكن عيون الباشا لم تفارق جسدها وظهرها وهى سائرة تبعد عن عينيه رويدا رويدا .. شعر أنها ابتعدت بعد أن خطفت قلبه ومشاعره بل اختطفت كيانه واتزانه وشعر بأنه سوف يُكشف أمام السائق ووالدها، تنحنح محاولا إعادة الاتزان الى نفسه المضطربة متسائلا:

- بنتك دي يا نصر؟

- ايوه يا سعادة الباشا .. معنديش غيرها

- ربنا يبارك فيها .. هيه فى المدرسة؟

- لا يا باشا .. اللى زينا حيبعتوا صغارهم المدارس .. إحنا مش وش مدارس!

- هيا عندها كام سنه؟

- خمستاشر

- هايل .. اللى يشوفها يديها سن أكبر من كده

- ايوه يا سعادة الباشا .. البت فرعه وطويلة ورجليها شيلاها يا دوب .. تعرف يا باشا اللى سعادتك شايفها طويلة مصاحبه الواد الصغير الواجف ريح سور الدار.

نظر الباشا جهة المكان الذي أشار إليه والد "هناء" وبدهشة

- الولد الصغير ده؟ مش معقول !! فيه فرق كبير بينهم .. أنده عليه يا نصر

- ضيا .. واد يا ضيا

- نعم يا عم نصر

- تعالى هنا يا وله .. سعادة الباشا عايز يتحدد معاك .. اقبل الصبي مسرعا وتبعه بعض من الغبار من آثار سيره بعدم احتراس .. حادثه الباشا

- أنت أسمك إيه؟

- أسمى ضيا .. ضيا خضر

ـ أنت تقرب للشيخ خضر مقريء القرآن؟

ـ ايوه .. ده يبجي أبويا

ـ خد دوول .. ناوله الباشا بعضا من النقود وغادره شاكرا هبته.

تحدث السائق:

ـ خلاص يا سعادة الباشا .. أتفضل أركب

ـ شكرا يا نصر وخلى بالك من بنتك .. مش تستعجل على جوازها!!

ـ والله يا باشا أنا خايف عليها ونفسي إنها تتجوز النهاردة جبل بكره .. البنت لِونه والناس فيهم ديابه كتير.

ـ فاهم خوفك .. وعلى كل حال أنا ح أشوف حد يناسبها .. مش معقول تتجوز أى حد .. الجمال اللاهي ده محتاج واحد يقدره

ـ ألف شكر يا باشا ريحتنى ربنا يريحك ويجبر بخاطرك

أستقل الباشا سيارته وهو مفعم بما رآه وسمعه خلال تلك الدقائق التى قضاها أمام كبانية الأسطى نصر، أثناء الطريق حادث سائقه:

ـ إسمعنى يا أسطى جمعه.

ـ أتفضل سعادتك

ـ عايزك تجيب لي بيانات عن الأسطى نصر من غير شوشرة ولا حس ولا خبر .. فاهم؟

ـ فاهم يا سعادة الباشا.

شعر نصر بالسعادة أن الباشا كان فى ضيافته عصر هذا اليوم وان الكثير من الفلاحين شاهدوه وهو يحادثه بل ان البعض شاهدوا الباشا وهو يحدث أبنته، صمت قليلا متمنيا من الله بأن يوفى الباشا بوعده ويعثر على عريس مناسب لإبنته فى عزبته .. يعنى لو رئيس أنفار أو كاتب فى الحسابات .. لا .. لا كاتب دي كبيرة .. كفاية نفر عنده و ألا كلاف للبهايم .. ديك الساعة أن بنت نصر بتاع الجاز مجوزه نفر شغال حدا الباشا .. ياه .. دى تبجى ليلة السعد والهنا.

عالجت مرضانا كثيرا بالدوا

لكنْ تعيسَ القلبِ يُبْرِئهُ الهوى

بعد أن وصل الباشا إلى قصره وأبدل ملابسه وحصل على حمام ينعشه مما ألم به من هوى مفاجيء لم يكن يتوقعه أو ينتظره .. جلس فى فرندة القصر وحضرت إليه "أم الهنا" دادة الراحلة زوجته والتى استبقاها لاستعادة ذكرياتها من حين لآخر .. وضعت صينية أمامه وعليها فنجان قهوة العصارى كما تعود خاصة أنها علمت منه بأنه تناول طعامه مع صديقه "شوكت" باشا.

ـ تفضل يا باشا .. انتبه من غفوته

ـ أم الهنا؟

ـ ايوه يا سعادة الباشا .. ما لك؟ ملاحظه عليك لونك متغير ومخطوف .. ضحك من حديثها متسائلاً:

ـ كل ده أخدتى بالك منه؟

ـ ايوه أمال .. إن مكنتش أنا أخد بالى مين ح ياخد باله .. عايز حاجه أجبها؟

ـ لا .. شكرا يا أم الهنا .. بعد أن سارت بضع خطوات أستمهلها الباشا ..

ـ أم الهنا

- نعمين يا باشا

- تعالى اقعدي قريب منى. عايز أكلمك فى حكاية

- حاضر يا باشا

قص عليها الباشا كل ما حدث أمام بيت نصر صاحب كبانية الجاز .. فهو يعتبرها من أقرب الناس إليه سرا وإخلاصا .. سمعت حديثه دون تعليق أو اعتراض ومازال مندفعا يدلى بكل ما طرأ على فكره وخياله، سمعته وغمرتها الدهشة فوجه إليها سؤلا فى نهاية حديثه:

- إيه رأيك فى اللى سمعتيه؟

- سيبنى كام يوم لحد ما أشوف الحكاية دي وأقولك على رأىَ

- أنا موافق لكن ما حدش يعرف حاجه .. فاهمه يا أم الهنا؟

- فاهمه يا باشا ومن غير ما تجول مش ح يحصل .. سرك فى بير .. فتك بعافيه

أصبح هناك اثنان من طرف الباشا .. سائقه الأسطى جمعه والدادة أم الهنا اللذان سوف يتوليان الحصول على بيانات عن عائلة نصر وبالأخص عن ابنته "هناء".

***

اليوم التالي للقاء الباشا مع هناء وبعد لقاءهما اليومي شعر "ضياء" أن صديقته على غير عادتها حيث اهتمت بملابسها بل شم رائحة جميلة تضعها النساء أثناء الزيارات المتبادلة بينهن.

أقترب منها راغبا فى إستكمال لعبهما معا لكنها ابتعدت عنه قليلا ، تساءل :

- فيه حاجه يا هناء"؟

- أبدا .. أنت لسه صغير يا "ضياء!!

- بتجولي صغير؟

- ايوه .. أنت صغير بالنسبة ليا

جلس الصبي صامتاً فالحديث مخالف والفعلُ محير! وما هو الجديد الذى طرأ على صديقته .. لم تقترب منه ولم تنفحه قبلاتها والتى كانت تشعره بالضيق فى بعض الاوقات، لكن ماذا حدث؟

أبتعد عنها وجلس فى ركن المخزن القديم الذى يستخدمه والدها بوضع أعلاف البغال به .. راقبها وشاهدها وهى ترنو بنظراتها إلى جسدها وتهندم ملابسها وتعيد ربط وعقص شعرها الجميل .. كل هذا أدهشه فهو لا يفعل هذا كما أنها لم تفعل هذا من قبل .. ماذا داهها لكى تتصرف هكذا؟

ظلت الفتاة لفترة تداعب جسدها وازداد خيالها فخرج صوتها عذبا ببعض كلمات لأغنيات لكل من منيرة المهدية والمطربة الشابة أم كلثوم .. خرج صوتها بأغنية

غني لـــي شوي شوي غني لي وخد عيني

خليني اجـــــول الحان يتمايل لها السامعين

وترفرف لها الاغصان النرجس مع الياسمين
وتسافر بهـــا الركبان طاويين المراكب طي
شويّ .. شويّ .. غني لي وخد عيني

بعد قليل سمعا نداء أمها تناديها.

- بت يا "هناء" أنتِ يا بت .. نهضت هناء تنفض التراب الذي علق بفستانها بينما دخلت الأم عليهما .. رفعت يدها بدهشة متسائلة.

- أنا يا بت نبهت عليكى كام مرة معنتيش تلعبي مع الجزعة ده .. هو ما فيش غيره .. حتعيلى .. أنتى كبرتى خلاص وبعد كام شهر حيجيلك ابن الحلال وتتجوزى وتخلفى وتبجى أم .. لكن ضيا ده لسه صغير .. يروح يلعب مع كلب وإلا جطه!!

سارت الأم تتبعها ابنتها بعدما تركن "ضياء" جالسا منفردا حزينا وانتابته حالة من الدهشة لما بدا على الخالة "تماضر" وصديقته "هناء" .. غادر المكان إلى بيتهم حزينا مقررا بأنه لن يلاعب صديقته بعد هذا اليوم.

اليوم التالي وفى نفس الموعد توجه الصبي إلى مكان لعبهما ونسى ما قرره بالأمس .. جلس أمام باب مخزن أعلاف البغال ينتظر صديقته ولكنها لم تأتى .. هاجمه الضيق وشعر بأنه يحتاج إلى اللعب معها وأن شيئا قد اعتاد عليه قد فارقه سواء من

الحلوى التى تحضرها معها أو قبلاتها التى تسعده فلها مذاق مخالف لما يحصل عليه من قبلات أمه وصديقاتها.

عاد ظهرا مطأطأ الرأس إلى منزله فشاهد حركة وجلبة ازدادت عددا وبدلا من الهمس أرتفع الصوت ثم علا وشاهد لطم خدود لأمه وعماته وبعض نساء العائلة .. انزوى بأحد أركان المنزل متخوفا مما شاهده وسمعه وبعد قليل شاهد بعض الرجال يحملون والده الشيخ خضر وجسده لا يتحرك ومغمض العينين بعد أن وضعوه أرضا فوق حصيرة بالية بداخل المنزل.

علم من الأحاديث المتبادلة بين الناس المتواجدة بالمنزل أن والده صعد إلى مئذنة المسجد ليقوم بالأذان لصلاة العصر كما أعتاد مع أهل القرية وأثناء الأذان سقط سور المئذنة به فلقى ربه فى الحال.

كانت هذه هى المرة الأولى التى يشاهد فيها الصبي إنسانا فارق الحياة فكل ما يعلمه أن فلان لاقى ربه وُيحمل إلى المدافن ويوارى التراب ويقوم أحد الفقهاء ومنهم والده الشيخ خضر بقراءة القرآن عليه طالبا من الله الرحمة والمغفرة على المتوفى.

غادر القوم القاعة تاركين الشيخ مُسجى أرضا فوق حصيرة بالية تغطيها الأتربة والقاذورات وأغلقوا باب الحجرة خلفهم .. تحرك الصبي من مكمنه دون أن يلتفت إليه أحد لصغر حجمه

ووجوده بركن الحجرة أسفل السلم الصاعد لسطح الدار .. اتجه الى جسد والده ينظر إليه وشاهد بعض الدماء تغطى وجهه وجزء من جسده .. حادثه طالبا منه العودة والحديث معا كما أعتاد معه وأخبره بأنه أستطاع أن يقوم بحفظ جزء عام من القرآن الكريم .. حرك والده لعله يستيقظ دون جدوى .. بكى بجانبه وهاجمه الخوف وألمت به القشعريرة وأنه لن يعيش بعده ومن هو الذي سيشكو إليه ومن سوف يحضر لهم الطعام ومن الذي سوف يستمع لحديثه بداخل الدار .. من سيقرأ له القرآن ومن سيقوم بعقد القران لأبناء القرية؟ كل هذا ضاع وهو لا يدرى ومن أين يدرى.

سمع اصواتا ولغطا بخارج الحجرة .. أسرع للاختباء فى مكمنه فقد أتى عماه بصحبة رجل آخر علم أنه تربى البلده وهو المسئول عن وضع الموتى بالمقابر وإغلاقها عليهم بعد وفاتهم .. جرد التربى والده من ملابسة وأحضر طشت الغسيل وبه ماء وقام بغسل الشيخ خضر وسمعه يقرأ بعض من قصار السور من جزء عام وكان كثير الخطئ أثناء القرأة ورغب أن يصحح له خطأه ولكنه خشي أن علم أعمامه بوجوده فقد يغضبوا منه وقد أصبح دون حماية وليس له درع يحتمي به من قسوة الآخرين.

انتهى الرجل من عمله وجفف والده وأحضروا قماشا مخالفا لما يلبسه الناس وعلم أن هذا هو الكفن .. لف الشيخ بداخله وجاء

البعض لحمل طشت المياه للخارج والبعض أتى لحمل الشيخ إلى الخشبة .. سار مع جموع الناس ولم يلتفت إليه أحد أو يسأل عنه لا قريب ولا صديق ولا جار .. حمد الله أن أحدا لم يسأل عليه فلقد خشي القوم أن شاهدوه أن يحملوه مع والده إلى القبر هكذا أخبره صديقه "معاطى".

تبع القوم من على بُعد وسمع عويل النسوة من الأقارب والمعارف وكلما سار الرجال بالخشبة مخترقين شوارع القرية سمع وشاهد بعض النساء يخرجن لتحية المتوفى ببعض الصراخ والعويل وشد الطرحة السوداء بقوة من خلف الرأس بل البعض منهن وضعن التراب على رأسهن وهن ينعين الشيخ خضر الذي عقد قرانهن وهن صبايا عذارى.

وصل الموكب إلى المقابر وهناك شاهد البعض يحمل جثمان والده المغطى بقماش "الكفن" والذى غُلف به ونزلوا به أسفل الأرض وأستطاع ان يدلف بين سيقان الرجال حتى شاهد الذين وضعوا الجثمان بداخل المقبرة وفك بعض الأربطة حول قدميه ووسطه ورأسه بل وضع أحدهم حجراً من الطوب اللبن أسفل رأسه كأنها مخدة وآلمه هذا لأن هذا الحجر سوف يؤلم أباه .. أغلقت المقبرة عليه بالطوب والطين وأصبح وحيداً.

انتهى كل شيء وعاد الناس٢٧إلى دورهم وأعمالهم بينما

عادت أمه برفقة بعض نساء العائلة إلى دارها وقد ربطت رأسها بطرحة سوداء تبكى الشيخ وقد أحمر وجهها وأنفها من لطم الخدود والبكاء المتواصل الذي كان يتوقف لحظات أثناء حديثها أو لاستقبال صديقة جاءت للأخذ بخاطرها .. كان البكاء متقطعا حسب الإحتياج فليس مستمرا وليس متصلاً كما كان يحدث عويل بصوت مرتفع كلما حضرت سيدة إلى دارهم للقيام بواجب العزاء .. فقبل الدخول إلى الدار تقوم النساء بإطلاق عويلهن للإعلان وكل واحدة تختلف عن الأخرى فى المحبة فكلما زادت قوة الصوت والنحيب والتعليق على محاسن ومآثر المتوفى فيعطى هذا انطباعا للآخرين بأن تلك السيدة من الصديقات والمقربات.

مضت عدة أيام على هذا الحادث ولم ينتبه إليه أحد كأنه ولى مع والده أو كأنهم كانوا يقومون برعايته من أجل خاطر الشيخ.

جلس ضياء قريبا من إسطبل البغال بحيث لا يراه أحد وراح فى نومه وطالت غيبوبته ولم يستيقظ إلا ليلا وشعر بالخوف ورهبة الليل وسكونه ولم يكن يقطع هذا السكون سوى أصوات البغال فى عراكها ومشاحناتها وتدريبها على الرفس بأقدامها القوية.

قبيل الفجر شاهد شباك حجرة بمنزل صديقته "هناء" وشاهد الضوء من خلف الشيش فاتجه إليه وجلس أسفله يأنس بهم ويبعد الخوف الذي لبسه منذ أن لبست الظلمة الكون الذي يحيط به.

سمع حديثا بين العم نصر والخالة تماضر والدي صديقته السابقة وتحدثت أمها تخبر زوجها بأن أم الهنا أخبرتها عصر اليوم برغبة الباشا فى الاقتران بابنتها "هناء" .. أطلق والدها العديد من كلمات الاستحسان وقدم الشكر الجزيل لله على نعمته هذه.

علم الصبي بأن صديقته الحسناء الذي يلهو معها سوف تتزوج وتنشغل عنه ولن يراها بعد هذا .. لقد فقد اثنان من أحب الناس إليه .. الأب الحنون حافظ القرآن والصديقة التى تعطف عليه وتلاعبه وتحرك بعضا من أحاسيسه ومشاعره .. لم يبق أمامه سوى أمه الحنون والتى انشغلت عنه بوفاة الأب.

***

انتهت فترة الأحزان وتنفست أمه "فريدة" الصعداء وعليها أن تستعد لاستقبال الحياة الجديدة بدون الزوج وبدون دخل مادي فليس لها معاش فهو إمام مسجد أهلي، احتضنته أمه وقربته منها لعلها تجد الأمان الذي ولى وأين تعثر الآن على لقمة العيش.

جلس الصبي فى المنطقة الفضاء التى تفصل بين داره ودار الصديقة التى بخلت عليه بلقاءات ولو قصيرة ليبثها همه وأحزانه .. فجأة ظهرت أمامه كالبدر المنير ترتدي فستانا لم يشاهده عليها من قبل ووضعت ألوانا على وجهها دهش من رؤيتها فلم يشاهد فتاة أو سيدة فى القرية بتلك الألوان ..٢٩اقتربت منه بينما ظل قابعا فى

مكانه .. اقتربت منه أكثر فأكثر حتى جلست بجواره رفعت عن كتفيها شال رقيق يحجب رؤيا أى شخص من مشاهدة أكتافها العارية .. حدثته:

- ضيا حبيبي .. شيفاك زعلان ووشك مخطوف .. فيه إيه معكر مزاجك؟ لم يجيبها وأجابتها عيونه الدامعة، توترت وتألمت وشعرت أنها تخلت عن هذا الصبي الذي رافقها لعبا وأنسا لشهور وسنين عدة، أمسكت يده بيدها وسارت به متوجهة إلى حجرة "أعلاف البغال" وأعادت جلساتها السابقة ملتصقة به وهو ملتصق بها .. حنت عليه بكفي يدها ثم أخبرته وعيونها مسلطة على وجهه البريء.

- ضيا : ح أجوز جريب .. عرفت جبل كده؟ أشار إليها بتحريك ذقنه بأنه علم بهذا .

وجمت وسرحت وشردت منها خيوطها التى كانت منذ قليل مازالت ممسكة بها.

- ضياء .. ح أجوز الباشا .. عبد الوهاب الزهيرى.

لم يجب .. فلا يهم من تتزوج ولكن المهم أنها ستفارقه وسيظل وحيدا دون أنيس ولن يستطيع مصادقة أقرانه من هم فى عمره نظرا لسلوكهم السيء وألفاظهم النابية ولا يهتمون به أو يعطفون عليه .. إنه يجد المتعة والسلوى بمع هناء بحديثها ولقاءها

والهدايا العينية من حلوى.

ـ ضياء.. الوداع لأني من بكره الصبح ح انتجل لسرايا الباشا وأفتكر انى مش ح أشوفك تاني بعد النهاردة.

ضمته الى صدرها وكادت أن تحطم ضلوعه لولا أن نبهها الى ذلك .. ابتعدت قليلا ونظرت إليه طالبه منه أن يقوم هو بوداعها .. أقترب منها وطبع قبلة خفيفة حانية على خدها وتركها مغادرا المكان باكيا .. حاولت النهوض واللحاق به ولكنها لم تستطع فقد سبقتها دموعها.

***

فى احتفال كبير أقيم حفل زواج الباشا على تلك الصغيرة الجميلة وأجمع أبناء القرية على أن الله فتح على تلك الأسرة بليلة القدر ومن كان يفكر أو يحلم بأن يقوم الباشا بالاقتران بتلك الفتاة رغم جمالها الرائع والتى كانت ُحلما لا يفكر فيه أحد.

رحلت الصديقة .. غادرته النسمة والسلوى والرفيقة .. أصبح يجلس بجوار إسطبل البغال يسمع هديرها وصهيلها من حين لأخر ويشم رائحة الروث ويشاهد الهوام التى تأتى عليه تحط على جلبابه القديم الممزق البالي المتسخ .. لم يعد أحد يعتد به .. ها قد مضى شهران على وفاة الأب الرحيم .. سوف يبثه شكواه كما كان يفعل دائما، نهض متجها إلى المقابر ٣١وأمام ضريح والده جلس

صامتا ثم انفجر فى بكاء يناجى الأب:

أبى لقد فارقتني وتركتني بمفردي فى تلك الحياة وأمي لم تعد تبالي بى إنها مشغولة دائما بعماتي وصديقاتها، لقد نهضت من كبوتها وأحسنت زينتها وتركتني أقاسى ألام الوحدة والفراق .. كما تزوجت صديقة الطفولة وتركتني بمفردي ولم يعد أحد يهتم بى .. أندفع الصبي فى بكاء أليم ثم قرأ الفاتحة ونهض عائدا الى داره وآثار دموع الحزن بادية عليه.

يشكو الفؤادُ من الأحزانِ قسوتها

أين الدواءَ لقلبٍ داءُهُ الألمُ ؟

بعدُ مضى خمسة أشهر على وفاة الشيخ خضر جاءت العمة "بديعة" واحتضنت ابن شقيقها وجلست تحادثه حديثا طويلا على غير عادتها ثم قذفته بما كان يخشى حدوثه.

ـ ضيا .. أمك ح تتجوز عمك خليل. أمك لسه صغيره ولازم راجل يكون جنبها .. متخافش وكلنا حوليك .. من يوم الخميس الجاي حتعيش معايا فى دارنا ومع أولاد عمتك .. فاهم يا ضيا؟

لم يفهم ولم يسمع فقدُ صمت أذناه وُطمس عقله وسقط فكره وكل ما فعله أن غادر المكان متجها إلى مكانه المفضل خلف إسطبل البغال يسمع صهيلها وحركاتها ويشم روثها وتداعبه الهوام من الحشرات على فضلاتها .. بكى بغير دموع ومن أين تأتيه الدموع وقد جف حَلقه وتورمت عيناه وطار عقله وسكن قلبه وضع يده على صدره فشعر بعدم النهجان بل لم يحصل على شهيق مثل ذي قُبل، انفرط عقده وسقط مغشيا عليه خلف الإسطبل.

أقبل الليل وبحث عنه الأهل والجيران فى كل مكان دون جدوى واستفسر أهل القرية جميعاً.

ـ محدش شاف ضيا؟

أنقلب الحال وتوترت البلدة وأجمع الكثيرون على أن الصبي لقى ربه بعد علمه بنية أمه الزواج .. وصل الأمر إلى قصر الباشا حيث الخفر يتساءلون عن سبب اختفاء ضيا وأين يكون؟ .. سمعت "هناء" بالخبر واستفسرت منهم فأخبروها بأن ضيا ابن المرحوم خضر مفقود منذ العصر وأنتصف الليل و ُمنيت محاولاتهم بالفشل .. نظرت الى الباشا وفى عينيها دموع الصداقة الحزينة عليه.. حدثها:

ـ أنتِ حزينة على فراق ضيا الى كان بيلعب معاكِ؟

أشارت إليه وهى باكية .. حاول أن يهدىء من روعها.

ـ يا ريت ياباشا نساعدهم أنهم يلاجوه. دا لسه صغير وميعرفشى حاجه .. ُدهش الرجل فهو لا يعلم مكان اختفاءه. نظرت إليه:

ـ انا أجلك مستخبى فين؟

نهض الباشا واقفا أمر بإعداد السيارة .. حضر السائق ليخبره بأن السيارة معدة .. هبط بصحبة زوجته واتجهوا إلى موقع كبانية الجاز، هبطت "هناء" من السيارة وسارت فى الظلام يتبعها زوجها والسائق ووالديها وسارت بهم إلى المنطقة الخلفية للإسطبل والتى كانت مسرحا للهوهم ولعبهم البرئ، شاهدوا الصبي ممدا على الأرض وفى حالة سيئة .. حمله السائق وأمره الباشا بالتوجه به إلى المدينة.

بالمدينة توجه به إلى صديقه الطبيب الذى نهض من فراشه حينما علم بوجود الباشا أسفل العمارة التى يقطن بها وهو فى أشد الإحتياج لخدماته كما أخبره السائق بهذا، فى العيادة قام الطبيب بإجراء الكشف عليه وتأكد له أن الصبى يحتاج إلى المقويات والمنبهات كى يترك حالة الإغماء التى ألمت به، أعطاه مقويات وحقن للتنبيه .. تنبه الصبي وشاهد الباشا وصديقته أمامه فشعر بالفرحة والسعادة لما يحمله كل منهما من مودة وحب .. سواء لصديقته بعلاقتهما القديمة بينهما أو الباشا الذي نفحه بعض النقود فى أول لقاء معه.

أخبر الطبيب الباشا بأن الصبي مصاب بصدمة عصبية ولم يستطع أن يتخلص منها .. أخبره السائق بأنه علم بأن والدته سوف تتزوج غدا .. تفهم الطبيب المشكلة قائلاً يجب أن نجد أحدا يحنو عليه فهو رقيق المشاعر، تفهم الباشا ما يجول بخاطر الطبيب .. عرض عليهم الطبيب بأن يقوم بالإشراف على الصبي بأن يمكث معه بالعيادة ويقوم بمعاونته من نظافة وخلافه .. صمت الباشا بينما تكلم الصبي عارضا موافقته.

أصبح ضياء يعمل لدى الطبيب .. وهكذا فارق أسرته بعد أن فارقته هى سواء بالموت للأب أو بالزواج لكل من الأم والحبيبة "هناء" .. دارت الحياة دورتها٣٥وتقرر نقل الطبيب الى القاهرة

فعرض على ضياء الذي بلغ مبلغ الشباب أن يلحق به أو أن يتركه .. رفض أن يتركه فقد شعر بالحب والعطف منه ومن زوجته بل وأبناءه.

أنتقل الفتى إلى القاهرة وبعدُ مضى عدة أعوام لاقى الطبيب ربه فإستأذن الشاب من أمه بالتبني أن يغادرهم حيث أنه تدرب على عمله كتمورجى .. وافقت أسرة الطبيب شريطة أن يقوم بودهم وزيارتهم وبكت زوجة الطبيب أثناء وداعها مقبلا يدها ..

– امى .. أشكرك وربنا يديم عليكى النعمة والستر ويخلى البهوات ولادك ويسترها معاهم ويكافكأ على وجوفكم جنبى السنين اللى فاتت، هكذا غادر الشاب "ضياء" الأسرة التى ظل معها حوالي تسعة أعوام.

***

أثناء ذلك مَّن الله على الباشا وزوجته "هناء" بطفلة جميلة أطلقا عليها أسم "بسمة" والتى جاءت إلى الدنيا لتعيد البسمة المفقودة سواء من الباشا لكبر سنه والذى أقترب من الستين عاما أو أمها "هناء" التى فقدت الصديق وحبيب الطفولة ولم تعد تعلم أين مكانه بعد أن غادر الطبيب المدينة إلى القاهرة ومشاغل الحياة التى قابلت الجميع.

أصبح عمر "بسمة" ثمانية أعوام وبدا واضحا أنها تسير

على نهج أمها فى الرقة والجمال ورغم مضى تلك الأعوام لم تنس "هناء" صداقتها مع "ضياء" وأثناء خلوتها كانت تستعيد ذكريات الماضي البريئة بينهما وفى بعض الأحيان تطل من بين جفنيها آثار دموع ساخنة خاصة عندما تقوم بزيارة منزل والديها.

***

شعرت "هناء" ببعض ألام أسفل بطنها وأخبرت الباشا بهذا .. الذى أتجه بها الى القاهرة لعرضها على أحد الأطباء المشهورين .. طبيب إستشارى وأستاذ بالجامعة .. بداخل العيادة قدمت "هناء" الكشف إلى التمورجى الجالس على ترابيزة صغيرة بمدخل العيادة. تسلم منها المبلغ ووتساءل عن إسم المريض دون أن يرفع وجهه جهتها، أخبرته ..

ـ مدام هناء نصر".

دون التمرجى الاسم وطلب منها الجلوس فى الاستراحة حتى يحين موعد عرضها على الطبيب وقدم إليها تذكرة صغيرة بها توقيت عرضها على الطبيب، فى تلك اللحظة تبادل الإثنان النظرات ومازال الشاب فاردا ذراعه اليمني لها بالتذكرة، وتأكد لها أنه "ضياء" حبيب الطفولة البريئة.

لم تستطع هناء التصرف فأقبل الباشا وأخذ التذكرة منه ولاحظ

النظرات المتبادلة بين الإثنين؛ تحركت على مهل بجوار زوجها بينما الشاب اتجه إلى داخل العيادة وأتى بزميلة ليقوم بعمله.

علم الباشا من زوجته بأن ما شاهدته فى العيادة هو صديق الطفولة "ضياء" الذى أندهش لهذا ولكنه شعر بأن الله أنعم على الشاب وبدا هذا واضحا من مظهره وُحسن هندامه.

منذ ذلك اليوم "وهناء" تداوم على زيارة الطبيب سواء برفقة زوجها أو بدونه حيث ينقلها السائق إلى العيادة ثم يعود بها بعد أن تنتهي مما ذهبت من أجله .. أثناء تلك الزيارات التى تقوم بها للطبيب أصبح كل همها محادثه صديق الطفولة ولكن الفتى لم يعطها اية فرصة؛ فقد شعر بأنه سوف ينجذب إليها خاصة أنها أثارت بداخله الأشجان وذكريات أيامهما الأولى وبدا يستعيد بعض تلك اللحظات .. شعر بأنه لن يستطيع كبح جماح اندفاعه نحوها فأثر البعد عن القرب.

شعر الباشا بأن زوجته راغبة فى مشاهدة هذا الشاب والعطف عليه متذكرا بأنه كلما قابل أحدا من أصدقاء مرحلة الطفولة كانت تهفو نفسه إليه .. عرض عليها أفكاره فتوترت فى بداية الأمر ولهذا أخبرها بأنه يفكر فى أن يلحقه بعمل كتابي بالعزبة .. أسعدها هذا الاقتراح وأستطاع الباشا أن ينفذ رأيه بعد أن أقنع "ضياء" بأنه راغب فى أن يصبح بجواره.

عمل الشاب بالعزبة وتفانى فى عمله فليس له بديل .. خلال هذا كانت "هناء" تسترق المعلومات عنه .. بل إنها شاهدته فى أحد الأيام أثناء عودتها بصحبة زوجها بالسيارة فأشار إليه الباشا فحضر مسرعا فخاطبه بكل ود متسائلا إذا كان راغبا فى أى شيء فلن يتأخر عنه .. شكره الشاب وبعد أن غادر المكان نظر الباشا إلى زوجته التي بادلته بنظرة شكر وعرفان والتى كانت بادية عليها من خلال ثغرها.

فترت العلاقة الزوجية بين الباشا وزوجته لكبر السن وانشغاله بعمله وبحبة لإبنته "بسمة" والتى غمرته بحبها وكانت سعادته لا توصف وهو يشاهدها يانعة جميلة لا تختلف عن أمها شكلا أو صوتا .. كان يتعجب لهذا ولكن أمام قدرة الله فلا تعجب أو تساءل.

شعرت هناء برغبتها فى رؤية "ضياء" ولكن العزبة ممتلئة بالعاملين وقد يتقول عليها البعض .. أثناء ذلك كان يتنازعها حبها له وخوفها من تأتى تلك الرغبة بنتائج غير محسوبة نتيجة لهذا الاندفاع رغم علمها أنها ترتكب معصية وإثما ولكنها لم تستطع كبح جماح اندفاعها وقررت أن تلتقى به بأي طريقة وليكن ما يكون .. انتظرت الوقت المناسب لتقليل الأثر النفسي الذي قد يصيب الباشا الذى تعدى عمره الستون عاما كما تخطت ابنتها الأعوام العشرة.

يا زوجتي لا تخدعيني ... واحذري يوما تخوني

قرر الباشا السفر الى القاهرة فى أمر عاجل يخص بورصة القطن بالإسكندرية .. طالب زوجته وأبنته بمرافقته على أن يتركهما بفندق سميراميس طوال الاجتماع لكن زوجته طلبت تأجيل هذا إلى اليوم الذي يُصبح فيه متفرغا فيقضونه معا .. أعجبته تلك الفكرة ودع زوجته متجها إلى القاهرة بصحبة سائقه الأسطى جمعة.

بعد مغادرة الباشا العزبة تحركت الأشجان والمشاعر "بهناء" نحو صديقها القديم "ضياء" فأرسلت أحد الخدم لطلبة على أن يأتي حاملاً معه دفتر عمال الزراعة .. أسرع الشاب إلى القصر تلبية لتعليمات الباشا .. فى مدخل القصر قابلته "هناء" مرحبة به طالبة منه الصعود لأعلى لعرض الأمر على الباشا .. صعد الفتى للدور العلوى متوتراً لأنه يعلم مثل جميع العاملين أن الدور العلوي للقصر لا يقربه أحد سوى الباشا وأسرته والخادمات فقط.

أشارت إليه بالتوجه للحجرة الأولى على اليمين، أتجه إليها فدخلت خلفه وأغلقت الباب .. أندهش متسائلاً:

- فيه إيه؟

لم تجبه ولكن الابتسامة علت وجهها الجميل واقتربت منه مثلما كانت تفعل معه وهما صغار،٤١توسل إليها بألا تقترب منه

موضحا بأنه نضج ولم يعد الصبي الصغير الذي لا يعى ردا لفعلها مثل السابق فهو الآن يعلم كل شيء ومن أجل هذا فالبعد بينهما فى مصلحتهما وطلب منها أن تسمح له بمقابلة الباشا أو أن يعود من حيث أتى.

أصبحت "هناء" لصيقة به وتحدثت معه مذكرة إياه بما كان بينهما فى الماضي، ملست على وجهه مثلما كانت تفعل فى الماضى أبتعد للخلف قليلاً مستعطفا ..

- ارجوكي .. هناء بلاش كده .. مش معجول حنعمل حاجه وحشه فى بيت الراجل اللى أجوزك وفتح بيته ليا علشان آكل فيه عيش.

لم تستجب لرجائه واستمرت فى أسلوبها الناعم المثير، شعر الفتى بأنه هالك لا محالة .. استدار راغبا فى العودة من حيث أتي .. لحقت به وأمسكت به من ياقة جلبابه، إستمر فى سيره ولم يتوقف شعرت، هناء بالضيق والغضب ومن أجل هذا شددت من قبضتها عليه، مازال ضياء يقاوم وبلغ به الضعف البشرى حداً كبيراً أمام إغراء هناء وشعر بأن أمامه ثوان قليلة فإما ينقذ نفسه أو يقع فى براثن الشيطان خاصة أنه كان يفكر فيها خلال الأيام الماضية.

تمزق الجلباب ونشبت أظافرها بقفاه وظهره لكنه فر بعد أن سقط الدفتر من يده، أسرع الى مكان إقامته لاهث الأنفاس وكل من إلتقاه من العاملين شعر بأن الشاب إرتكب عملا وخطئا

كبيراً أو أن أحداً تشاجر معه نظراً لأن ملابسه ممزقة وملوثة بالدماء وآثار جروح برقبته وأعلا الظهر.

وقفت "هناء" بعد أن غادر ضياء القصر وأفاقت على خطورة ما أقدمت عليه وتوقعت شرا إن علم الباشا بما حدث وأقل شيء سيفعله بها هو طلاقها بل من الممكن أن يقتلها ولا خلاص لها إلا الإدعاء بأن "ضياء" حاول اغتصابها وليكن ما يكون.

أثناء وقوفها حائرة متوترة وفى حالة من الاضطراب والتوتر لما لم تتوقع حدوثه بل كان توقعها وردى مسايرا لما تهواه نفسها .. سمعت صوت الباشا قادما ولهذا أصابها الذعر والخوف؛ فكرت وتسائلت: ما الذي أعاد الباشا بهذه السرعة؟ شاهدته أمامها وألقى عليها بتحية سريعة ثم دخل إلى حجرة نومه ثم غادرها مسرعا بعد أن أستبدل ملابسه بملابس جولاته بين الحقول .. حادثها قائلاً:

- إيه رأيك؟ كده أحسن .. أصل الاجتماع تأجل للأسبوع الجاي .. أروح أشوف الأرض و.... صمت لفترة مركزا نظره نحوها متسائلاً:

- إيه إللى حصل؟

اندفعت باكية واتجهت إليه وألقت بنفسها على صدره .. حاول تهدئتها ونظر إلى عيونها فشاهد توتراً وحزنا دفينا كما أن لون بشرتها كان باهتا والوجوم يعلو كل قسمات وجهها.

- فيه إيه يا "هناء"؟

مازالت باكية دامعة .. تحدثه:

ـ تصور اللى عطفنا عليه حاول مهاجمتي وإغتصابى بعد خروجك!!

بدهشة كمن يستعيد وعيه واتزانه.

- بتقولي إيه ؟ مين ده؟

- ضيا يا باشا .. أبتعد الرجل قليلا كى يستطيع أن يشاهد وجهها الحزين والمنطقة الخلفية لها بوضوح.

- بتقولي إيه؟ ضيا !! ضيا!! زميلك واللي كان بيلعب معاكى؟

- ايوه يا باشا .. ترك الباشا المكان وأسرع ونظر من فرندة القصر وسمعت صوته هادراً.

- يا سعدون .. أنت يا غبى يا سعدون .. ايوه تعالى هنا قوام

هبط الباشا سلالم القصر فى خفة الفهد وبأسفل سمعته يحدث الخفير سعدون.

- عارف الكلب أبن الكلب .. تجيبه ليا هنا بسرعة .. فاهم؟

- حاضر يا باشا.

- وقفت ليه.

- لا مؤاخذه يا باشا .. يبجى مين ده؟

- ضيا .. عارف ضيا؟

- ايوه حاضر دجايج.

شاهدت الشرر ينطلق من عينيه صاحبه إخراج زفير بعصبية .. بعد قليل سمعت صوت سعدون قادما رافعا عقيرته سبابا وشاهدته يدفع بضياء أمامه ضربا وصفعا حتى سقط أرضا ومازال ممسكا بكتف الشاب .. نظر إليه الباشا يتمعن قسمات وجهه ثم صفعه على وجهه صفعة قوية "صارخا":

- يا ندل يا كلب يا ابن الكلب ..

- أرجوك يا باشا.. اشتمني وأعمل اللى أنت عايزه لكن بلاش تشتم أبويا .. ده وديعة عند ربه .. أنا جدامك .. اجتلنى .. هو أنا حاجدر أعمل حاجه .. أعاد الباشا صفعه.

- تعرف أنا مين؟

- حضرتك معالى الباشا .. صفعة أخرى وبصوت مرتفع "

- وولى نعمتك"

- فعلا يا باشا .. أنت ولى نعمتى .. أنا خدام حداك .. أنا بُلغة ابن بُلغة .. انا أستأهل الشنج .. أعمل اللى هواك فيه .. صفعة أخرى.. - عارف مراتي تبقى بالنسبة لك إيه؟

- ايوه يا سعادة الباشا .. هيا تبجى ستى وتاج راسى .. أنا خدامكم وعبد حداكم.

- تعالى ورايا.

صعد الباشا وسعدون خلفه دافعا بالشاب أمامه حتى وصلوا لمكان وقوف هناء التى كانت واقفة وهى فى أشد حالات الاضطراب .. بصوت آمر تحدث الباشا:

- وطي بوس جزمة سنك.

- حاضر يا باشا .. أنحنى الشاب لتقبيل حذاء "هناء"

انحنت نحوه مانعة إياه والدموع فى عيونها فضفاضة رقراقة وأمسكت به من كتفيه برقتها السابقة قائلة:

- ضيا .. بلاش .. عشان خاطري.

نظر إليها الباشا بدهشة مصفقا يد بيد قائلاً:

- الله عليكِ وعلى طيبتك، خده بره يا سعدون وأنا جاى وراك.

هبط الباشا طالبا من سعدون اصطحاب الفتى إلى زريبة البهائم وأمر الخفير عويس بإحضار الكرباج لتلقين هذا الفاسد درسا قاسيا لن ينساه.

بعد قليل أسرع الباشا للحاق بأتباعه وشاهدهم يقومون بصفع الفتى وأهانته .. أشار إليهم بالتوقف وطلب من عويس نزع السترة عنه وربطه بالشجرة وجلده أمامه عشر جلدات.

نزع الخفير بكل قسوة ملابس الشاب وفوجىء الباشا بأن الشاب ممزق الظهر والقفا كأن سكينا شرحت جسده .. سأل أتباعه:

- مين عمل فيه كده ؟ أجابوا:

ـ أبدا سعادة الباشا هو كده من ساعات ما رحت جبته، طلب من الغفير سعفان إحضار الملابس الخاصه به من حجرته .. أسرع الغفير وأحضر ملابس الشاب وبعد أن فرزها الباشا شاهد الجلباب الذي كان يرتديه وقد تمزق من ظهره، أمرهم بفك قيوده وتركهما بمفردهما؛ سأله الباشا:

ـ تقدر تفسر لي اللى أنا شايفه؟

بكى الشاب ولم يتحدث .. حاول معه الباشا بالتهديد مرة وباللين مرة دون جدوى ولم يزد الأمر عن مواصلة الشاب البكاء.

أمر الباشا خفره بوضع الشاب فى مخزن المبيدات الحشرية وغلق الباب عليه مع ربط يديه خلف ظهره كى لا يتناول مبيدا ويلقى حتفه .. قام الخفر بتنفيذ تعليمات الباشا وبعد أن أغلق الخفر الباب عليه شعر "ضياء" بالاختناق من رائحة المبيدات، لازمه السعال وأخيرا هداه تفكيره بأن ينام أرضا واضعا انفه قريبا من الفاصل ما بين باب المخزن والأرض وبهذا استطاع تجنب رائحة المبيدات النفاذة وتخلص من السعال الخانق الذي لازمه.

الرجوع للحق فضيلة

جلس الباشا فى المنضرة البحرية والتى يستقبل بها ضيوفه وبعض معاونيه وهى بالطبع خارج زمام القصر كى يتحدث الرجال على سجيتهم بعيدا عن آذان النساء .. جلس يفكر ولكن تفكيره توقف وشعر بأن رأسه تكاد تقفز من فوق كتفيه .. شعر بأنه مغيب ومخدوع وأنه لا بد من شيء ما قد حدث لكن ماهو؟ لا يعلم.

سمع آذان المغرب نهض وتوجه للوضوء ثم وقف أمام خالقه يؤدى الفرض الذي كُتب عليه .. خشع إمام الله وكاد أن يرتبك فى صلاته .. انهي صلاته طالبا من الله ألا يأتي صباح اليوم التالي إلا وقد علم ما حدث خلف ظهره بين عامله وزوجته أم ابنته، عاد جالسا على كنبه بلدي وأعاد ظهره إلى الوراء وطلب من خفيره فتح الراديو .. سمع صوت الشيخ محمد رفعت يتلو من آيات الذكر الحكيم .. بدا الغضب والشك يغادره وهدأ رويداً رويداً ولم يكن يخطر بباله بأنها "سورة يوسف" وسمع الشيخ يرتل :

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّادِقِينَ (٢٧)

ظل الباشا يستمع للصوت العذب وشعر أن الله أنار له بصره وبصيرته وها هى حواء تكرر ما قامت به أمها منذ ألاف

السنين .. ماذا افعل وماذا أتصرف؟ .. لقد ثبت لي أن هذا الشاب بريء وهى المذنبة ولي منها طفلة قاربت الاثنى عشر عاما .. أنفصل عنها وأطلقها وتصبح سيرتنا على كل لسان .. لقد أخطأتِ يا ابنة "نصر" ولكن لماذا هى التى أخطأت ولماذا لم أخطأ انا؟ أيعقل أن يتزوج رجل فى الخمسين من فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها .. كيف يستقيم الحال ومن أول فرصة سانحة كاد شرفنا جميعا أن يداس بالأقدام وهكذا أكون قد شاركت فى هذا الإثم ..

الإثم بدفع زوجتي وهذا المسكين إلى الرزيلة .. بئس ما فعلت ولأكفى على الخبر غطاءاً محكما ولأنهى هذه المسرحية المأساوية والتى كاد أن يصبح ضحيتها شاب صغير فقير يتيم أهنته وأذللت كرامته وليس هذا من شيم الكرام.

أسرع بنداء خفيره طالبا منه الإسراع بفك وثاق الشاب وإحضاره إليه، بعد قليل حضر الشاب وشاهد على وجهه كل علامات الذل والمهانة وجسده الهزيل والممزق الثياب والأوحال تغطيه، أمر بفك وثاقه ثم طالب منه الجلوس .. جلس الشاب ويعلم أن مصيره قد تقرر ولن يأتي عليه الصباح وهو حي يرزق وأقنع نفسه بتلك النهاية.

أشار الباشا إلى غفيره سعفان طالبا منه إعادة الشاب "ضياء" إلى مسكنه وتوفير طعام فاخر ،،من قصره لتناوله وأن يحصل

على حمام منعش ويستبدل ملابسه بأخرى كما أمر خفيره الآخر بالتوجه إلى عيادة الطبيب المجاور وإحضاره وأن يبلغه بأن أحد العاملين بالعزبة مصاب ببعض الجروح والخدوش.

ظهرت معالم الدهشة على وجه الشاب ونهض غير مصدقا ما حدث ولكي يثبت له الباشا صدق ما قاله نهض ووقف أمامه واضعا ابتسامة عريضة على وجهه أظهرت طيبته قلبه المعهودة لدى العاملين لديه ثم احتضن الشاب مقبلا إياه معتذرا عما حدث منه وأنه فى الصباح سوف يعتذر له بطريقته.

انهمرت دموع الشاب وشكر الله أن كشف عنه الغمة وأيضا لصدق الباشا رغم أن أى شخص آخر كان فى مكانه لكان من الممكن أن يقترف حماقة لا تحمد عقباها.

انتهي الشاب من حمامه بعد هذا اليوم الدامي وتناول طعامه الذي لم يذقه منذ الصباح وروى جسده بكوب ماء رطب أعاد رطوبة الحياة إلى جسده المحترق ثم نهض يؤدى صلاة هذا اليوم والتى قام إبليس اللعين بالعبث بحياته كى يدمر منازل وقلوب الصالحين .. جلس الشاب وتذكر الآية الكريمة : قال الله تعالى:

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

صدق الله العظـــيم.

شعر براحة عميقة بل شعر بأن بعض نسمات الجنة قد هبت

عليه فتوجه إلى سريره المتواضع ولم يهدأ من شكر الله بأن عصمه من هذه الذلة ونام نوما عميقا.

***

ظل الباشا فى الاستراحة حتى الهزيع الأخير من الليل .. عاد إليه فكره وشعر بأن حملا ثقيلا أزاحه الله من على كاهله وخاصة ما يتعلق بهذا المسكين "ضياء".

شعر بأنه وزوجته هما المتسببان فى إهدار كرامة هذا الشريف العفيف والذى نادرا ما يعصى رجل رغبة امرأة لينالها كما أخبرنا القرآن الكريم .. لقد كان الله عليما بخلقه وهو الذي خلقهم وسواهم ويعلم ما فى الغيب .. كان من الواجب على أن احترز لما هو قادم وليس كل مرة تسلم الجرة، فى تلك المرة استطاع الشاب المقاومة وماذا يحدث إذا لم يستطع المقاومة مرة أخرى؟ سوف يصبح القصر وكرا للعربدة والرزيلة .. يجب أن أتصرف بحكمة مع الإثنين وألا اضر أحدا منهما، قليل من الحكمة كثير من النجاح.

***

مازالت "هناء" فى حالة من القلق الشديد .. فهى تخشى على نفسها من أن ينطق الشاب بالحقيقة رغم علمها أن الباشا لن يصدقه ولكن خوفها وجزعها نابع بأن ينتقم منه الباشا ولقد شاهدت جزءا من هذا وهى لن تنسى طوال حياتها أنها تسببت فى أن تجعل

أول حبيب لها بل وصديقها الصغير منذ بدأ قلبها يخفق أن يقف أمامها ذليلا يخبرها بأنه عبد وخادم لها .. طفرت من عيونها الدموع الحارقة ولم تستطع أن توقفها .. قررت أن تعترف للباشا بعد حضوره مباشرة وليكن ما يكون فهى لن تستطيع العيش بعد ان تُصبح المتسببة فى القضاء على حياة صديق الطفولة "ضياء".

شاهدت الغفير سعفان يسير بين أشجار حديقة القصر .. أشارت إليه فحضر الرجل مسرعا ملبيا طلبات الست هانم.

- نعمين يا ست هانم .

- سعفان ..عرفت الباشا عمل إيه فى الولد اللي اسمه ضيا؟

- ايوه يا ست هانم .. الباشا طلب منى أنى أفك الرباط عن يده وجام سعادة الباشا وحضنه وجاله روح على دارك فى العزبة وأستريح وطلب منى أنى أطلب له "وَكل" من الجصر وانا كلمت البت "فتحية" مرتى وراحت جابت له الوَكل وكل والحمد لله.

كادت هناء أن تعلن عن سعادتها وغبطتها ولم تكن تعتقد أن يتغير موقف الباشا منه بهذه الدرجة، صرفت الغفير ولكن حالة التوتر لازمتها وتسائلت:

- لماذا غير الباشا من تصرفه حيال ضياء؟

لابد أن الباشا هو الذي طلب منه أن يتعامل معي بتلك الطريقة .. لا أعتقد هذا فلا يعقل أن٣٥رجلا يعلم بأن شابا راغبا فى

زوجته ويكون هذا تصرفه ولكن كيف تحول الباشا بهذه الدرجة؟ .. وما موقفي لو اعترفت له بما قمت به من خديعة؟ أعتقد أنها ستصبح كارثة، لا يعقل أن يكون ضياء قد اعترف للباشا بما حاولته معه، لا اعتقد أن أى رجل يقبل أن يتقول أحد على زوجته فهذا معناه اهانة كبرى بأنه زوج ضعيف وزوجته غير راغبة به ولا أعتقد أن يجرؤ "ضياء" على قول هذا .. ماذا أفعل يا ربى؟ لأنتظر للغد والله سيجلى كل غمامة قاتمة، نهضت واتجهت إلى حجرة ابنتها "بسمة" وشاهدت البسمة الوضاءة على وجهها البرىء الجميل .. حصلت على قبلة وعادت إلى حجرتها تنتظر الزوج.

ظل الزوج متيقظا فى استراحة الضيوف وكلما تنبهت "هناء" إلى عدم حضوره تتجه للشرفة فتشاهد أضواء الاستراحة مضاءة وهذا معناه أنه مازال متيقظا .. ومن يكون برفقته فى ذلك الوقت اتجهت إلى جناح الخدم وأيقظت إحداهن للتوجه إلى الاستراحة والاستفسار عن من يكون بصحبة الباشا حتى هذا الوقت المتأخر.

عادت الخادمة لتخبر سيدتها بأن الباشا يجلس بمفرده يدير جهاز الأسطوانات يستمع لبعض الاغانى الخاصة بالست أم كلثوم وسى صالح عبد الحي .. استراحت "هناء" واتجهت إلى سريرها وخلدت لنوم هادئ بعد أن أخذت عهداً على نفسها بألا تكرر هذا الخطأ الذي فعلته ظهر هذا اليوم.

ما أجمل العفو عند المقدرة

شعر الباشا بأنه قد أمسك بجميع الخيوط وأنه من الصالح له ولأسرته ولهذا الشاب المسكين والذى شاهد وعاين لحظة ضعفه الإنساني أمام قوته وجبروته من شدة فقره وعوزه يجب عليه حمايته من افتراس أى إنسان له وخاصة هناء وقد تأكد له أنها ستعيد الكرة مرة ثانية بعد فترة قصيرة مستشهدا بما ورد فى القرآن الكريم ومن تصرف امرأة العزيز وما الغرض من ذكر سورة وآيات بينات توضح كل ما جرى بين امرأة العزيز وخادمها.

لقد تكرر السيناريو مرة أخرى بل تكرر مرات عدة على طول الزمان والأجيال، نظر ساهما معيدا إحدى فقرات القرآن الكريم " إن كيدهن عظيم" صدق الله العظيم، بالفعل كان من الممكن بل من المؤكد أن تضيع حياة هذا الشاب جراء ما حدث لولا عناية الله به وبى وكان الموقف قد تغير وأصبحت قاتلا وهو قتيلا مظلوما لم يفعل أى شيء سيء سوى أنه يجرى على لقمة عيشه فيعمل منذ الصباح حتى المساء عائدا إلى حجرته ليستعد ليوم عمل آخر بعد أن تخلى عنه الزمن بالأب الحامى والأم التى تزوجت وصديقة الطفولة التى شاهدها أمامه بعد أن أصبحت سيدة القصر وهو الخادم والعبد الذليل أمامها ويجب عليه أن يقوم بتنفيذ رغباتها الشيطانية؛ فإذا لم يفعل حولت الجرم ضده؛ بكل٥٥بساطة وبلاهة بلعت هذا الطعم

وصفعته أكثر من مرة وكدت أن أقتله وأصيبه بجروح عميقة كما قال الطبيب الذي عالجه من تلك الإصابات رغم أن المجرم الحقيقى بحجرة النوم تستريح بعد أن نجحت فى أن تنتقم منه.

شعر الباشا أن بقاء ضياء فى العزبة أصبح خطرا علي حياته ولا بد من البحث له عن مكان آخر على أن يكون هذا المكان سرياً وغير معلن ولهذا قرر بينه وبين نفسه بأن يسلمه إدارة ماكينة طحن الحبوب والغلال التى تقع خارج زمام العزبة والتى أشتراها منذ عامين سدادا لدين مستحق على صديقه "مجلي بك" والتى لا تعلم عنها زوجته أى شيء.

أقبل الفجر يبشر الصالحين بيوم جديد على ُحسن طاعة الله بعد أن أكد الخفير للباشا بأن ضياء قد تناول طعام إفطاره ولهذا طلب منه أن يخبره بأنه راغب فى مقابلته قريبا من مخزن الغلال كما طلب منه أبلاغ سائقة بالحضور الى هناك مع عدم إخبار أى فرد من العزبة بذلك.

تقابل الغريمان سابقا والأب والابن حاليا .. تصافحا وظهرت ابتسامة بريئة من فم الشاب سرعان ما قابلها الباشا بتحيته المعهودة لمن يحبهم وهى ضربات خفيفة على الكتف .. حضر السائق وطلب الباشا من خفيره جمع متعلقات ضياء وإحضارها .. لم يغضب الشاب فقد كان قانعا بما تم بل ٍشكر ربه بأن ولى نعمته عليه لم

يفتك به واكتفى ببعض الاهانات والصفعات على خديه رغم ألمها الشديد إلا أنه قال لنفسه "قضا أخف من قضا" تحركت بهم السيارة والباشا يتحدث مع الشاب فى أشياء لا تمت للعمل أو لما حدث بالأمس.

وصلنا يا سعادة الباشا .. قالها الأسطى جمعة والذى خدم الباشا لأكثر من ثلاثين عاما؛ هو سره الأمين ومستشاره الخاص فيما يعن له من أزمات .. غادر الباشا السيارة وخلفهما عم جمعة السائق حاملا "بوقجة" ملابس ضياء .. أستقبلهم رجلاً طاعناً فى السن مرحبا بالباشا ومن معه .. ساروا جميعا إلى مبنى صغير أسرع الرجل الذي أستقبلهم بفتحه ودلفوا إليه جميعا.

طلب الباشا من ضياء الجلوس وطلب من جمعه ترك الملابس والتوجه للسيارة ومن الرجل العجوز التوجه لعمله .. أصبحا الاثنان وجها لوجه .. تحدث الباشا مقدما اعتذاره عما بدر منه بالأمس موضحا بأنه كزوج شعر بالإهانة لما حدث ولكن الله سلم كما شكره علىُ حسن خلقه وأنه لم يدافع عن نفسه ويلقى بالتهمة على "هناء" رغم علمه بأنها المخطئة.

لم يخوض الباشا فى هذا الموضوع بعمق لكنه أخبر الشاب أنه من أجل أن يوفر له الحماية والعمل فإنه يكلفه بالإشراف على إدارة "ماكينة طحن الحبوب" وتلك الاستراحة مخصصة له وراتبه

الذي كان يتقاضاه فى العزبة سيحصل عليه كما يجب ألا يخبر أحدا مهما كان حتى لا تصل المعلومات الى زوجته فتعيد الكيد له.

قام الشاب ناهضا من مجلسه محاولا تقبيل يد الباشا الذي أستغفر الله وأحتضنه كابنه ثم رافقه أثناء مغادرته المبنى وتجولا بالمنطقة، شعر ضياء بسعادة لهذا المكان الجميل والتى تحيط به مساحة من الأرض المنزرعة حدائق والعمل يسير بهدوء حيث أن من يقومون على إدارة الماكينة هم بعض الفنيين المتخصصين فى هذا المجال ولهم باع طويل سواء فى العمل أو حُسن الخلق.

أفترق كلّ من الباشا والشاب وشعر الإثنان بالحب والمودة كلّ نحو الآخر، قام ضياء بالسير بداخل المكان وتعرف على عم "رأفت" مسئول إدارة الماكينة ورئيس العمال أمامه خلال هذا غادر الباشا المنطقة عائدا إلى عزبته بعد أن شعر بأنه استراح بعد مأساة الأمس ورغم كل هذا مازال يضايقه الألم الذي لحق بالشاب بالأمس من الإهانة والتعدى عليه بالضرب.

فتح الباشا قلبه إلى الأسطى جمعة بما فعله بالشاب أمس لارتكابه خطأ ما ثم علم ببراءته من هذا دون التطرق إلى ما حدث لزوجته وأنه عاقدا العزم على أن يكفر عن هذا بكتابة الماكينة والأرض التى تقع عليها وتزيد مساحتها عن ثلاث أفدنه لهذا الشاب .. إبتسم عم جمعه وهذا يعنى أنه٥٨موافق على رأى الباشا طالما لم

يعارضه واكتفى بالابتسامة.

أستكمل الباشا حياته مع زوجته وأبنته كسابق عهده وشعر بأن زوجته راغبة فى معرفة ما حدث لهذا الشاب الذي أتهمته بمحاولة التحرش بها .. لم يعطها الفرصة تاركا لها مساحة زمنية تتقلب فيها على نار التوتر جزاء ما أقدمت عليه ضد إنسان بريء ولكنها لم تستطع السكوت فسألته:

ـ انا ملاحظه ان ضيا معدش له وجود فى العزبة، أنت تخلصت منه وإلا إيه يا باشا؟ يعنى طردته وإلا جتلته؟

نظر إليها بقليل من الاهتمام وهو يؤكد على حروف كلماته ..

ـ "هناء" أنتى تعرفي عنى أنى قاتل أو مجرم او قمت بضرر حد؟

ـ فى الحجيجة لأ .. وبعد جوازنا اللى عدى عليه حداشر سنه أسمع عنك كل خير خصوصا فى تعاملك مع العمال حدانا .. ربنا يبارك فيك .. جلت يمكن أخد عجاب بسيط وانطرد من العزبة.

ـ ده صحيح .. وقمت بالتوصيه عليه عند ناس معرفه عندهم عصارة قصب كبيرة فى الصعيد واهو شغال هناك و يبعد عن المشاكل.

ـ ياه

قالتها بعد أن وضعت يدها على فمها لما شعرت به من بُعد المسافة ثم سرعان ما أكملت حديثها:

ـ على كل حال خير ما عملت ومعدش حد من جرايبه فاضيله وخصوصا الخاله فريدة مشغولة بعيالها وجوزها.

شعرت "هناء" بالراحة لما تم مع "ضياء" لكن مازال هاجس حنينها إليه يعاودها من حين لآخر، اما عن ضياء فبعد أن أستقر به المقام جاءته البشرى بحضور الباشا لزيارته مرة ثانية بعد أن سجل له الأرض والماكينة بيعا وشراء وهاله هذا الخبر السار وطفرت الدموع من عينيه لهذا وأحتضن الباشا وقبله ناثرا عليه كلمات الحب والشكر والامتنان.

لم يكن هناك شيء يؤرق حياة الشاب سوى حنينه الى حب الطفولة إلى "هناء" ولهذا أنب نفسه كثيرا واستعاذ بالله من الشيطان طالبا العفو والمغفرة، ففي الوقت الذي نفحه الباشا تلك النفحة المادية الكبيرة يفكر فى زوجته بكل شيء سيء يكرهه أى رجل ... ماذا يفعل؟ لعنة الله على الشيطان ومن يسيرون فى ركبه.

مضت أكثر من ثلاث سنوات على امتلاك "ضياء" الأرض وما عليها من إنشاءات وخاصة ماكينة طحن الغلال وشعر بأن الله رضي عنه وكلما هاجمته ذكرى هناء استعاذ بالله من تلك الذكرى فينهض للصلاة حتى لو لم يكن فى ميقاتها.

إن دوام الحـــال
ضربًا من المحال !!!!!

انكب ضياء على عمله بإخلاص وأمانة مثل الأيام السابقة مما دفع بأهالي المنطقة الى التعامل معه فازدادت شهرته و بالتالي ازداد رزقه وأصبحت حياته أقل خشونة إن لم نقل أكثر نعومة ولم يكن ميالا إلى مشاغبة جيرانه بل إذا حدثت مشكلة ما مع أحدهم سرعان ما يلجأ إلى طريق الصلح والتفاوض مستعينا ببعض كبار القوم بالمنطقة ولم يكن يغالى فى مطالبه كما أنه عف اللسان ولهذا لم يكن يرتكب أخطاءً مع أحد وحين تعرضه لأي مشكلة يقوم بالعمل على حلها بسرعة مقدما اعتذار للطرف الآخر.

جاء من يهمس فى أذن "ضياء" البقية فى حياتك .. صمت برهة يفكر من يكون عزيز عليه قد فارق الحياة .. لا بد أنها أمه من يكون قد بلغ من الكبر وينتظر لقاء ربه سوى كبار السن رغم أن أمه لم تبلغ الخمسين من عمرها ولكن كل نفس ذائقة الموت .. نظر لمحدثه مجيبا ..

- حياتك الباجية.. فى مين؟ اقترب منه محدثه.

- سعادة الباشا.. سقط القلم من يده وجلس على كرسيه دفعة واحدة كأنه أرتطم به.

ـ الله يرحمك يا سعادة الباشا .. الله يرحمك زى ما رحمت ناس غلابا كتير .. ياه على الدنيا .. لكن الذكرى الطيبة بتفضل لصاحبها .. دمعت عيناه وأخرج منديله يجففهما ثم أعاده ثانية مستفسرا من حامل النبأ.

ـ متعرفشى توفى امتى؟

ـ جبل الفجر. وأنا عرفت من اللورى اللى شايل "صوان العزا" كان فايت من جدام العزبة وانا جاى عليك وسألت "صوان مين ده يا ولاد" جالولي سعادة الباشا جابل رب كريم ليلة أمبارح جيت أعرفك على طول لأنى عارف أن الباشا بيعزك جوى وكان ييجى يزورك كلتها كام شهر مع أنه باع لك الأرض والماكنة .. دنيا ..

غادر الرجل المكان تاركا "ضياء" فى حالة من الحزن والوجوم ومر من أمام عينيه شريط صامت سريع لما حدث من الباشا ولقاءهما منذ خمسة عشر عاما حينما نفحه بعض النقود أثناء إصلاح سائقه لإطار السيارة أمام كبانية عم نصر والد هناء.

استراح فى جلسته مغمض العينين بعد أن انتهى من ذكريات الباشا معه .. فجأة أنتفض متذكرا أسرة الباشا .. ياه .. صديقة الطفولة "هناء" ما حالها الآن؟ أكيد غمرها الحزن والألم إنه زوجها ووالد ابنتها الوحيدة "بسمة" ربنا معاكِ .. يجب أن أقدم لها العزاء بعد أن انتهى من تقديمه لأفراد أسرة الباشا .. هذا أقل شيء

أستطيع أن أقوم به لذكرى هذا الإنسان النبيل؛ عاودته ذكرى عفو الباشا عنه من ادعاء اتهام زوجته .. وقف مذعورا صائحا:

ـ لا يمكن .. مش ممكن .. أروح لحبل المشنجة برجلي .. ياه .. نسيت بسرعة يا ضيا يا مغفل "هناء" عملت فيك إيه؟ لا .. دا من رابع المستحيلات يا دوب أجدم العزا وأفر ومش عايزها تشوفنى وانا مش عايز أشوفها .. يخفى دي شوفه.

نهض الشاب وهندم من ملابسه متجها إلى عزبة الباشا .. أستقل تاكسياً وطلب من السائق التوجه به إلى عزبة "الزهيرى باشا" .. أثناء الطريق تحدث السائق مع "ضياء" عن فرحة الشعب بمولد ولى العهد .. معلقاً: خلاص الملكة ناريمان حتبجى أم الملك الجديد الأمير أحمد فؤاد .. لم يكن الشاب سامعا أو منصتا لحديث السائق ولم ينتبه من ذكرياته مع الباشا وزوجته إلا حينما سمع السائق يخبره .. خلاص يا "ضيا" أفندى وصلنا العزبة والصوان جدامك عدل.

شكره ضياء ونفحه مبلغا من المال مما أسعد السائق فعرض عليه العودة به ليلا بعد إنتهاء العزاء فوافقه على ذلك .. تقابل ضياء مع بعض العاملين بالعزبة بحكم عمله السابق بها فقدم لهم العزاء كما رحبوا به لما يعلمون عنه من حُسن خصال أخلاقه وحب الباشا له وكثرة مديحه أمامهم .. تقابل ٦٣ مع الأسطى جمعه وقد أصبح

هرما وسعدون الخفير وناظر العزبة "حسنين افندى" وآخرين.

شاهد بعض أقارب الباشا وهم من أبناء شقيقاته وكان إستقبالهم لوفود المعزيين فاتراً وفسره البعض بسبب حزنهم على خالهم بينما فسره آخرون لرغبتهم في الحصول على حقهم من الميراث وأنتقد البعض الباشا لأنه رفض نصيحة "حسنين افندى" ناظر العزبة لرفضه كتابة العزبة بيع وشراء منا صفة لكل من زوجته وأبنته كى يحرم باقي أسرته من هذا وكان الباشا شديد الانفعال فى رد فعله على هذا الاقتراح متسائلا: كيف لي أن أخالف شرع الله وأن أحتال عليه .. لن يكون هذا وما هى إجابتي على الله حين سؤالي عما اقترفت من معصية لأوامره .. قالها البعض :

- الله يرحمك يا سعادة الباشا .. كان دايما فاكر اليوم ده .. يوم لقاءه مع ربه.

انتهى واجب العزاء وأنصرف الأكابر من الباشاوات والبهوات ورجال الحكومة والبرلمان ولم يتبق سوى بعض الأقارب والعاملين بالعزبة .. وصل السائق ليعود بـ "ضياء" لكن رجال العزبة ألحوا عليه بالبقاء معهم يومان كى يطمئنوا على ما سوف يحدث لعائلة الباشا نظرا لوجود أقاربه خاصة أنه سمع مع الآخرين تعليمات مشددة من أحد أبناء شقيقة الباشا والتى وجهها إلى ناظر العزبة قائلا له:

- حسنين أفندي .. من بكره الصبح عايزك تجهز كل دفاتر العزبة .. وأملاك الباشا وكل ما يخص البنوك .. فاهم؟

أجابه الرجل بكثير من الضيق وعدم الاهتمام:

- إنشاء الله .. بعد نهاية الخميس .. أعاد حديثه:

- أنا باقول بكره يعنى بكره .. فاهم .. تركه حسنين أفندي مغادرا المكان فاستشاط باقي أفراد الأسرة غضبا وقال أحدهم على مهلكم شوية لحد ما نكوش على كل حاجه ونبقى نرفد كل الغجر دوول مشيرا للمحيطين بناظر العزبة.

أيقن "ضياء" أن سحابة قاتمة تنتظر صديقته وأبنتها .. صباح اليوم التالي شاهده عم نصر والد "هناء" وقدم له تعازيه وسأله الرجل عمن يكون وحينما علم أنه ضياء أحتضنه وشكره على ما قام به .. قبل الظهيرة جاءت "أم الهنا" الدادة تسأل عن سى "ضياء" .. قابلها فرحبت به طالبة منه لقاء سيدتها .. توتر الشاب وما كان يخشاه قد حدث، أعتذر لها بأنه على موعد وسوف يأتى فى ذكرى الخميس لتقديم واجب العزاء .. شكرته وعادت إلى القصر بعد قليل شاهد "هناء" قادمة بصحبة والدها عم نصر الذى حياها مع باقي المتواجدين وعاتبته بأنها طلبت لقاءه ورفض هذا، صمت ولم يعلم كيف يجيب بينما تحدث والدها مخبرا "ضياء" بمجرد أن أخبرت "هناء" بوجودك حتى شعرت بأن شقيقها قد حضر.

بعد جهد من ناظر العزبة ومحامى الباشا انتهت مشكلة ميراث أقارب الباشا بعد أن حصلت ابنته وزوجته على نصيبهما الشرعي وشقيقاته على ما يخصهم حسب شريعة الله ولهذا تفتت العزبة وجنب منها مائة وخمسون فدانا خارجا من زمامها وهى من نصيب أخوات الباشا وسار كل شيء على هذا المنوال ولكن الأمور استقرت بزوجته وابنته على البقاء فى القصر ونصيبهم الإجمالي وصل الى مائتين وخمسين فدانا وبعض الأموال السائلة فى البنوك كنصيب شرعي .. لم يترك المحامى وناظر العزبة فرصة لأقارب الباشا فى التلاعب بحقوق الزوجة وابنتها.

عاد"ضياء" إلى عمله ليباشر ماكينة طحن الغلال وقطعة الأرض الصغيرة المحيطة بها .. شعر بالاطمئنان على عائلة الباشا ولكن ذكرى مرحلة الطفولة عادت إليه من جديد خاصة أنه لاحظ أن "هناء" مازالت كما هى رائعة الجمال وقد تعدى عمرها الثلاثين عاما بعدة أشهر .. حاول الفكاك من تأثيرها عليه لكن مقاومته خذلته.

عاد "ضياء" بذاكرته إلى مراحله الأولى وعمره عشر أعوام حينما كان ينتظر "هناء" قريبا من غرفة خزين أعلاف البغال كى تنفحه قطعة من الحلوى أو عسلية ثم تعقبها ببعض اللمسات الرقيقة على خديه وتنهيها بقبلة ناعمة ٦٦ عليهما .. أصبحت تلك عادة لديه

وإذا حدث شيء ما يمنعها من تقديم تلك الهبة اليومية له احتار وشعر بالقلق وأن شيئا هاما فقده ويحتاج إليه.فيعاوده الحنين إليه.

لم يطول به السهد والألم والحنين إذ وصلت سيارة الباشا تقل الزوجة "هناء" يقودها الأسطى جمعه .. أستقبلها "ضياء" بكل ترحاب وبشاشة وجه بينما بدت السعادة واضحة على مقلتيها فتخضب خديها بحمرة الخجل أو الفرحة وبدت منها ابتسامة رقيقة على ثغرها أسعدته وأطربته وأعادته إلى مرحلة الطفولة .. سارت بجانبه وشاهدت ماكينة الطحين والمنطقة المحيطة بها ثم أعقبتها بأن جلست فى مكتبه المتواضع وتناولا الشاي وتحدثا ببعض الود وفى نهاية اللقاء طلبت منه اللقاء فى منزل والدها نصر عصر الخميس القادم .. حاول الاعتذار ولكنها نظرت إليه نظرتها السابقة والذى اعتاد عليها ثم قالت له:

ـ مستنياك يوم الخميس العصر فى دار أبويا.

غادرت المكان فأسرع خلفها مودعا لها وللأسطى جمعه واستقلت سيارتها من أمام الماكينة تتبعها سحابة من التراب وبداخلها عقل وقلب الشاب .. كل فترة زمنية كان ضياء يقرر عدم الذهاب إلى هذا اللقاء وبعد قليل يدفعه الحنين إلى مرحلة الصغر للتأني مردداً: وما المانع من هذا اللقاء الذي سيتم فى منزل والدها وفى المنطقة الجميلة التى كانت٦٧تجمعنا فى الماضي نلهو ونلعب

معا .. كانت أحلى أيام حياتي حيث كنت أتمتع فيه بحبها وعطفها وحب أمى وعنايتها بى ورعاية أبى وحبه وحمايته لي .. طفرت بعض دموع لذكرى الأب الفقيد.

تتوالى الساعات لتكمل يوما يليه أيام وأزف الموعد وهذا هو يوم الخميس ولم يشعر أو يفكر إلا بعد أن شاهد نفسه يرتدى أحسن جلباب بلدي لديه بعد أن قام حلاق القرية بتلميع قفاه وذقنه وهذب من شاربه ومشط شعر رأسه ومازال فى انتظار حضور الأسطى رجب الذي اعتاد التنقل معه من مكان لآخر رغم قدم طراز سيارته والتى ليس بها فرامل وكان الهلع والخوف ينتاب ضياء حينما يشاهد جاموسة تندفع إلى الطريق الترابي تجرى على غير هدى والأسطى رجب يستخدم نفير السيارة باستمرار مع إخراج قدمه اليسرى كى تقوم بعمل الفرملة حيث أن فرامل السيارة متآكلة.

وصل "ضياء" إلى قريتهم فعرج على دار أمه واستقبلته بترحاب حيث انها تعلم أن حضوره لزيارتها يتبعه مبلغا من المال يسلمه لها طالبا منها الإنفاق على إخوته الذين أنجبتهم من عمه والذى توفاه الله منذ أربعة أعوام .. بعدها غادر دار أمه بين دعائها له بطول العمر متجها إلى دار عم نصر المطلة على الجهة الأخرى من الطريق الترابي الواصل بين القرية والمدينة.

الحب مع الحنان ... دي جنة المحروم

مجرد أن أقترب "ضياء" من دار الأسطى نصر الملحق بكبانية الجاز حتى إستقبله عبير "هناء" رغم أن عيناه لم تشاهدها .. ظل سائرا ووقف أمام باب الدار مترددا .. هل يدق الباب عدة دقات مع دقات قلبه المتوالية أم يعود أدراجه ويترك هذا المكان .. شعر بأن قلبه أصبح صغيرا مع أفكاره وعمره حينما لم يبلغ بعد العاشرة ابتسم لذكريات الماضي السعيد لكنه شعر بلهيب خلف ظهره فنظر فإذا هى "هناء" تقف خلفه وابتسامتها المعهودة وبشرتها الناعمة التى تدل على ما تتمتع به من صحة وعيناها العسلي وشعرها الأصفر الناعم المسترسل على ظهرها.

عاد الفتى بذاكرته إلى خمسة عشر عاما مضت .. عاد الصبي "ضياء" وهى بالأحرى عادت الفتاة التى فى مقتبل العمر حينما بدأت تشعر بأنوثتها متأججة وكيف تفرغها أو كيف تلجمها فلم يكن أمامها سوى هذا الصبي الصغير الذي لا يعلم من أمور الدنيا شيئا فيسير خلفها كما تسير الماعز خلف أمهاتها .. هكذا تعلمت وهكذا عودته وهكذا أعتاد، لقد نجحت فى ما أرادته فلم تلجأ إلى العلاقات المشينة مع بعض الشباب والتى كانت تلوكها الألسنة وينتج من ورائها المشاكل والمشاجرات بين العائلات وتسببت فى

الفضائح لبعض بنات القرية كما أن الصبي لم يتحدث أو يقول شيئا سواء لأنه لا يعرف أو لأنه سعيد بهذا وكيف يقضى على سعادةُ ميسرة له وما أحلاها قطعة حلوى أو زر بطاطا أو قطعة عسلية .. من الذي سوف ياتى له بهذا خاصة أنها كانت تحصل عليها مجانا من سائقي عربات الجاز الذين يأتون للكوبانية من أجل ملأ فناطيس عربات الكارو التى تجرها البغال.

أمسكت بيديه مثل سابق عهدهما حينما كانا يسيران حيث كانت تخشى عليه من السقوط فى الترعة أو فى بئر الساقية .. سار معها حسيسا دون مقاومة .. شعر أنه الصغير والضعيف وهى الأقوى والأكبر .. عاوده الشعور السابق .. دخلت معه إلى مخزن أعلاف البغال وجلسا أرضا كما كان فى الماضي رغم فستانها المرتفع الثمن .. جلست بجواره وأخرجت من حقيبة يدها قطعة عسلية وأعطتها له، أسعده هذا وفض غلافها الشفاف وهم بتناولها ولكنها أكملت سابق تعاملها معه .. فملست بيدها الرقيقة على خديه الخشنين واقتربت منه لكنه تنبه وشعر بأن شعوره قد أختلف عن سابقه وليس مثل ما كان فى الماضي .. وضع قطعة الحلوى جانبا ونظر إليها بكثير من الحب والرغبة مع التخوف والتمنع البادي من وضع يداه كفاصل بينهما. سألته: ما بك؟ ألا ترغبني؟

"هناء" سوف أقولها لك ٧للمرة الأولى .. فلم أستطع أن

أقولها حيث كنت صغيرا، لا أعرف ما يجب على أن أفعله ثم حينما علمت ما مر بى من مشاعر وأحاسيس كنت متزوجة من أب حبيب لي ولكِ ولجميع أبناء المنطقة .. أما الآن فأقولها .. هناء أنا أحبك وأشتاق إليك فى صحوتي ومنامي وأرجو أن يعفيني الله من هذا أو يفتح امامى نافذة لعلاج ما ألم بى.

نظرت لأسفل بين أقدامها وقد بدا عليها الحزن والألم فتساءل: أضايقك اننى اعترفت أمامك باننى أحبك؟

أبدا حبيبي لم يضايقني ولكن الذي ضايقني هو اننى تسرعت بزواجي من آخر وتركتك فريدا وحيدا رغم أن ما آلمك آلمني أيضا ان لم يكن أكثر حيث كنت أكبر منك سنا ولهذا نضجت قبلك .. صديقي وحبيبي "ضياء" هل تقبل أن ترتبط بى لنصبح زوجا وزوجة؟

ران على ضياء صمت مطبق ولم يجب سواء رفضا أو قبولا. مضى الزمن بطيئا حزينا وأنعقد لسان الحبيبان وخالجها شعور غريب وبأنه غير راغب فى الارتباط بها، فلقد تزوجت قبل هذا وكيف يتزوج أرملة وأما والفتيات الجميلات من حوله يملأن القرية .. لن ينظر إلىّ .. لن ينظر إلىّ .. لقد أخطأت فى حق نفسي .. لقد أهنت نفسي.

راودته الظنون .. هذه حبيبة القلب التى جعلته يتقلب على نار

الفراق منذ الصغر وقد أصبحت حرة ولم تعد مرتبطة وانتهت عدتها منذ شهرين وعرضت عليه بلسانها الاقتران بها .. أنا راغب بها وأتمنى هذا وبالأخص بعد هذا اللقاء الذي أعادنا إلى الماضي السعيد الجميل .. انه ماضي البراءة .. هل أعلن موافقتي مرحبا أم ماذا أفعل؟ لو أعلنت موافقتي فقد تعتقد بانني راغب بها لأنها أصبحت ميسورة الحال بعد أن ورثت عن الباشا الشيء الكثير .. أخشى أن يُقال عنى إنني قد انتهزت فرصة أن أصبحت هناء أرملة وتقدمت إليها.

قد يقول البعض لقد سبق لها الزواج وقد أنجبت فتاة أصبحت على عتبة الزواج خلال شهور، إنها عروس شابة خطت خطوات "هناء" بكل ملامحها وجمالها .. إن هناء أكبر منى عمرا فقد تجاوز عمرها الثلاثين عاما وأنا أصغرها بأربعة أعوام وسوف يتندر الناس وكل شخص سيقول ما يحلو له وتندرهم على أبن الشيخ خضر الذي تزوج من أرملة وأما لعروس قد تصبح بعد عام جدة وأكبر منه عمرا..

ما هذا؟ كلما شعرت بانني اقتربت من حلم حياتي أجده يفرمن بنائي كما تفر المياه فى رمال الصحراء المجدبة.

قطعت عليه "هناء" أفكاره وهواجسه قائلة: "ضياء" أسحب عرضي وأشكرك على مشاعرك فقد كنت أعتقد أنك

مازلت ضياء الذي كان يلهو معي ولكنك تغيرت وتبدلت واحتمال أنك اكتشفت بانني أكبر منك عمرا ولى فتاة ستصبح عروساً وقد أصبح جدة بعد عام أو أكثر!! أشكرك .. نهضت ومازال "ضياء" جالسا وانحنت ووضعت قبلتان على خديه كما كانت تفعل فى السابق تاركة المكان باكية حزينة.

تنبه إلى فجيعته .. لقد كانت معي وسوف تصبح بعيدة عنى وقد تتزوج وأنا الذي رفضت عروض زواج كثيرة متعللا بأنه ليس بالوقت المناسب لاننى لم أنسِ حبى لهذه الفاتنة .. أسرع خلفها وأمسك بيدها قبل أن تغادر مخزن الأعلاف وجذبها نحوه ومال عليها مقبلا خدها للمرة الأولى فى حياته .. شعر بريح طيبة هفت عليه أسكرته لبعض الثوان أفاق منها ناظرا إلى عيونها الجميلة .. "هناء" يسعدني ويشرفني أن أقترن بك يا جميلتي ويا حبيبة الطفولة.

أسعدها قوله كما أسعدها تصرفه معها قبل هذا حينما قبل خديها .. احتضنته باكية .. أبعدها عنه قليلا متسائلا: لماذا البكاء ؟ لقد اتفقنا على الزواج .. أعادت احتضانه ضاحكة .. إنها دموع الفرح أيها الساذج.

توجها الإثنان إلى دار عم نصر وتحدثا معه، شعر الرجل بالسعادة والبهجة أن وجد من٧٢هو راغبٌ فى الاقتران بابنته

حيث كان يخشى الطامعين فى ثروتها وهو يعلم أن هذا الشاب متمسك بدينه مثل والده المرحوم خضر كما أسعد هذا الخبر أمها "تماضر" التى أطلقت بعض الزغاريد مما دفع البعض حين سماع تلك الزغاريد والتى تنبئ الجميع بخبر سار للحضور ومن ضمن هؤلاء أم ضياء "فريدة" وأسكرتها الفرحة بقرب اقتران أبنها الأكبر لتصبح جدة وأيضا سوف يصبح أبنها من الأعيان ويعم عليها وعلى أبنائها الخير.

سرى خبر قراءة فاتحة "هناء نصر" على جارها "ضياء خضر" بين الناس بسرعة كبيرة وتناطحت التعليقات ما بين مؤيد وما بين معارض وما بين حاسد لما حصل عليه ابن الشيخ خضر الجاهل الفقير من جمال وثروة وما بين مستنكر من أن يرمى نفسه بيعا من أجل المال ويتزوج من هى أكبر منه عمرا .. وأصبح الخبر عاما ومفرحا للغالبية من أبناء القرية والقرى المجاورة.

كان هذا الخبر مفرحا أيضاً للعاملين بالعزبة، فقد خشي الكثيرون أن ترتبط السيدة الحسناء بشخص ما ويصبح هو السيد ويستغنى عن خدمات البعض خاصة أن بعض الشباب من أبناء شقيقات الباشا رغبوا بالارتباط بزوجة المرحوم وعرضوا رغبتهم تلك على ناظر العزبة لنقلها إلى الأرملة الصغيرة وتحايل ناظر العزبة على تلك الرغبة وهذا العرض بتأخير الرد والإجابة

إلى أن تنتهي من عدتها .. حينما علم ناظر العزبة بهذا النبأ شكر الله بأن أبعد هؤلاء الجشعين عن ميراث الزوجة وميراث ابنتها أصابت الصدمة أقارب الباشا ولهذا نقلوا الرغبة من الأم الى ابنتها.

***

هذا هو اليوم المنشود وهذه هى ليلتي وحلم صباي فلقد جمعني الله على محبوبة العمر والتى انتظرتها طويلا حتى يأذن الله لي بأن أقترن بها .. أشاهدها تسير بفستانها الأبيض وحول عنقها عقود الألماس والمجوهرات الكثيرة وتعج صالة القصر بالكثير من كبار الأغنياء والأثرياء وبعض نواب البرلمان ومجلس الشيوخ وأقطاب من حزب الوفد والسعديين ومصر الفتاة.

أسمع همسات بعض المدعوين يتحدثون عن هذا الشاب الذي هبطت عليه السعادة غامرة شاملة والمال حوله من كل مكان .. هل يستحقها أو لا؟ البعض يتحدث عن قدرة الله فى خلقه كما تحدث البعض عن الاحتفال البسيط الذي أقيم أول أمس بمسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه حيث تم عقد قران كل من "هناء نصر على ضياء خضر" وحضر هذا القران العديد من الشخصيات أقبل ناظر العزبة حسنين افندى حاملا معه وثيقة زواج العروسين بعد التصديق عليها منبها الجميع بوصول العروس.

اشرأبت الأعناق وفتحت ٧٥الأعين واستعدت الآذان

لاستقبال العروس كما وقف على باب القصر العريس "ضياء" فى أبهى حلة لاستقبال عروسة .. هبطت العروس من السيارة التى يقودها الأسطى جمعة وصعدت درجات سلم القصر الأربع الرخامية بمساعدة أبنتها وثلاث من صديقاتها .. أستقبلها العريس منحنيا مقبلا يدها بين تصفيق المدعوين، تأبطت ذراعه اليمنى وسار معها مزهوا بجمالها وفتنتها ودخلا إلى بهو القصر بين تصفيق الجميع وأشاد كل من كان يعرفها بجمالها وفتنتها ورشاقتها فى تلك الليلة وكأنها قد عادت خمسة عشر عاما إلى الوراء قبل زواجها .. استقبلت التهاني من المدعوات بالقبلات ومن المدعوين بالتحية والانحناء .

أشار إليهما المصور بأن يستعدان لالتقاط بعد الصور بهذه المناسبة .. وقفا فى المكان الذي حدده المصور وألتقط العديد من الصور سواء بمفردهما أو مع بعض الأصدقاء والعائلات كما حصلت أبنتها على العديد من تلك الصور .. أشار إليهما المصور بآخر صورة وهى الصورة الهامة مناديا بكل سعادة .. قبل زوجتك ياعريس .. أبتهج المدعوين وصفق البعض لهذا .. أقترب منها "ضياء" ليحصل على القبلة التى كان يتمناها منذ أكثر من خمسة عشر عاما .. وضع فمه قريبا من ثغرها ولكنه سمعها تناديه.

ـ ضيا .. ح أموت خالي بالك من٦٧بسمة .. آه .. آآآآآه .. ثم سقطت

أرضا وفزع المدعوون وجلس ضياء على ركبتيه أمام عروسه المسجاة أمامه بفستانها الأبيض الجميل وكل زينتها ومجوهراتها ترتديها و تتزين بها.

تعالت الأصوات ما بين مندهش وما بين استغاثة وهرج ومرج أعقبها حضور أحد الضيوف وتبين بأنه طبيب فأقترب من العروس وأمسك بمعصمها بعض الوقت وفتح إحدى عينيها ثم قال:

- أيها السادة إنا لله وإنا إليه راجعون.

تعالت الأصوات التى تحولت إلى عويل والبعض بكى من الرجال أما الصغيرة "بسمة" فقد نامت على صدر أمها باكية فقد ألم بها حزن العالم حيث فقدت الأب فى بداية العام وهذه هى الأم تفقدها بعده بعدة أشهر .. بمعاونة بعض السيدات اللائى ساعدنها على النهوض وحملنها بعيدا عن المكان بينما ظل "ضياء" جالسا أمام جثمان صديقته وعادت إلى ذاكرته صورة أبيه الذي كان مُسجي أرضا وهو صبى لم يتجاوز العاشرة .. نفس الموقف ونفس النهاية لكن مع الفارق فقد كان الأب ينام أرضا فوق حصيرة بالية تغلفها الأوساخ يرتدى الجبة فوق جلبابه وهى مظهر من مظاهر شيوخ المساجد وعلماء الدين لكن هنا فالوضع مخالف فالعروس تنام فوق سجاد شيرازي غالي الثمن ترتدي فستان زفافها ومعطرة تنتظر ليلة عرسها على حبيبها الصغير٧٧والتى كانت تتمناه زوجا وحبيبا

ورفيق حياتها.

تم دفن العروس وحاول " ضياء" حضور مرحلة غسل الجسمان مثلما شاهد والده ولكن بعض الرجال ومنهم والد المتوفاة عم نصر لم يقره على هذا، لم يكن ضياء باكيا ولا متشنجا كما فعل الآخرون لكنه كان هادئا متماسكا وشجعه وأقره البعض بينما أستنكر الآخرون تصرفه معللين هذا بأنه ينتظر حصوله على ميراث زوجته التى لم يدخل بها ومازال حبر وثيقة الزواج لم يجف وانه محظوظ فلو تأخر القران يومان لما حصل على مليم أحمر لكنها دنيا والتى تعطى الحلق للي بلا ودان.

مضت أيام قلائل وتناسى الناس تلك العروس التى لاقت ربها فى ليلة زفافها على حبيب طفولتها والتى بلغ عمرها إثنين وثلاثين عاما .. أنهمك الجميع فى مشاغلهم بينما فضل عم نصر وزوجته بقاء حفيدته بدارهم المتواضع بضعة أيام كى لا تعود وتتذكر أمها .. لم يمانع "ضياء" فى بقاء بسمة لدى جدها نصر حيث لم يتذكر الفتاة إلا قليلا رغم أن حبيبته أوصته بها خيرا قبل وفاتها وكانت تلك آخر كلمات نطقت بها إليه "ضيا : خالي بالك من بسمة بنتي".

أهتم ضياء بالإشراف على العزبة ولم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وتدخل فيها وأنكر عليه الناس سلوكه بأن أصبح هذا حالة وهم فى دهشة لكن الشيء الغريب على الجميع أنهم كانوا يفتقدونه

كل ليلة بعد آذان المغرب حيث يصطحب سائقة الخاص الأسطى رجب بعد أن أبتاع له سيارة ستروين فرنساوى ومزودة بفرامل كى لا يخرج قدمه اليسرى بديلا عن فرامل السيارة مثلما كان يفعل مع سيارته المتهالكة والتى كانت ماركة دودج موديل ١٩٤١.

تساءل الناس : الى أين يتجه هذا الشاب كل مساء؟ أجمع الجميع على أنه متزوج من فتاة فى قرية أخرى يذهب إليها ويعود قصره بعد منتصف الليل .. حاولوا الاستفسار من سائقه لكنه لم يفيدهم بشيء حيث حدثهم بأخبار متضاربة وغير منطقية وأيضا لأنه كان عديم الفهم والإدراك وقد يكون هذا هو السبب فى أن أختاره "ضياء" للقيام بمهامه الليلة بينما الأسطى جمعه العجوز أصبح يتولى قيادة السيارة الأكبر للقيام بالزيارات والسفريات الهامة.

أستطاع حسنين افندى ناظر العزبة إقناع الأسطى جمعة بتتبع سيارة رجب فى إحدى الأمسيات ومعرفة سر هذا الشاب الخفي والى أين يتجه كل مساء وهو يرتدى أفخم ثيابه ويتعطر كأنها ليلة زفاف .. رافق الأسطى جمعة الغفير سعفان وتتبعت سيارته سيارة رجب وأصابتهم الدهشة بعد أن سلكت السيارة طريقا فرعيا مؤديا إلى المقابر التى تبعد عن البلدة عدة كيلومترات .. فى المقابر شاهدا ضياء يغادر السيارة ويلقى بتحيته على خفير خاص يقيم بالمقبرة ويقوم على حراستها .. تبين٧٩لهما أن تلك المقبرة الخاصة

بزوجته الراحلة "هناء" واعتقدا بأن تلك الليلة قد تكون الذكرى السنوية لها ولكن تبين خطأ هذا حيث أن المتوفاة لم يمضى على وفاتها أربعة أشهر.

تسلل كلٌ من جمعة وسعفان حتى وصلا إلى المقبرة وشاهدا كلٌ من الغفير والسائق رجب يجلسان بعيدا نسبيا عن المقبرة .. سمعا صوت ضياء يكلم سيدة:

ـ مساء الخير .. عامله إيه ؟ كويسة .. أنا كويس .. تصوري عملنا إيه النهاردة فى العزبة ..لأ .. لأ .. دي مفاجئة .. طيب متزعليش حاجول .. شوفي يا ستى .... الخ

أقترب الرجلان ليشاهدا من يحدثها ضياء فلم يشاهدا شيئا حيث كان جالسا أمام شاهد القبر يتكلم كأنه يحادث شخصا .. استمر على هذا الحال أكثر من ساعة وخلالها أخرج الطعام وتناوله وشعرا بأنه يتناول معها الطعام وكأنها تجالسه.

عاد الرجلان وهما فى وجل وخوف حيث تأكد لهما بأن الشاب قد أصابته لوثة عقلية ذهبت بما تبقى لديه بعد فاجعته فى وفاة زوجته .. اليوم التالي أخبرا الرجلان حسنين افندى الذى علت الدهشة حاجبيه الكثيفين وضرب الرجل كفا على كف طالبا الوعد والعهد منهما بعدم إخبار أى شخص بما حاق بالشاب لأن ما تم هو نوع من التلصص وإذا علم أقارب الزهيرى باشا بالخبر فقد

يطالبون بالحجر على الشاب والاستيلاء على العزبة وسوف نغادرها إلى الأبد .. لابد أن نقف معه فهو يستحق هذا منا وهو فى مثل عمر أبنائنا وانه شاب مهذب على خلق ودين وقدم لنا كل احترام وتقدير.

تواصل الحياة دورتها والشاب على نفس الوتيرة وأثناء انشغاله بعمله لم يكن يبدى أى شيء غير عادى، بل إذا جاءت سيرة المرحومة "هناء" ترحم عليها قائلا لقد استراحت من مشاغل الحياة.

لكن أثناء الليل يتبدل الوضع ويصبح مختلفا حيث كان يعتقد بأنها على قيد الحياة يخاطبها وتخاطبه ويتناول معها الطعام، ترك رجال العزبة الشاب على حاله لعل الله يخرجه من كبوته هذه.

عادت الصغيرة "بسمة " إلى القصر وأغدق عليها ضياء بحبه وعطفه متوخيا نصيحة حبيبته وبدأت الفتاه فى تقبل الحقيقة بعد أن فارقتها الصدمة القوية لوفاة أمها وقد أصبحت محرومة من الوالدين وأصبحت علاقة ضياء بها على أعلى ما يكون وتقمص دور الأب المتفاني فى خدمة أبنته.

حضرت زوجة حسنين افندى ناظر العزبة لزيارة الفتاة وكل عدة أيام تكرر الزيارة فشعرت الفتاة بحنان الأمومة وهى تجالسها بل أن بنات تلك السيدة أكبر من بسمة عمرا ولديهم ابناء وبنات

فى عمر "بسمة".. فى إحدى الأمسيات عرضت زوجة حسنين افندى على "بسمة" عرضا لم تكن تتوقعه الفتاة .. إبنتى لماذا لا تتزوجين "ضياء"؟

دُهشت الفتاة ولم تجب وبعد أن تركتها السيدة ظل هذا السؤال يلح فى عقلها .. لماذا لا تتزوجين "ضياء". لم يستطع عقلها الصغير وقلة خبرتها أن تفيدها، هرعت إلى جدتها وجدها تسألهما الإجابة على هذا السؤال الذي أصبحت الإجابة عليه هاجسا كما ألمهم هذا الوضع كثيرا وهى ترغب فى معرفة الإجابة عليه سواء بالرفض أو الموافقة.

أستمع الجد والجدة لسؤالها والذى لم يتبادر إلى ذهنهما من قبل فى البداية أضطرب الجد .. هل هذا يجوز أو لا يجوز؟ .. تركهما بالدار وأتجه إلى المسجد وبعد صلاة العشاء انتحى بالشيخ "جابر" جانبا متسائلاً: هل يجوز زواج ابنة السيدة التى عقد عليها الرجل ولم يدخل بها منه أم لا يجوز؟

شرح الشيخ بالتفصيل كل شيء للجد وأخيرا أفاده برأي الدين .. يجوز أن تتزوج حفيدتك من زوج أمها الذي لم يدخل بها فلا يمنع عقد القرآن من أمها زواجه بها .. شكره الرجل على هذا الإيضاح وأتجه إلى داره بعد أن غمره شعور بالارتياح لتلك الفتوى الصحيحة التى أخبره بها الشيخجابر واضعا أمله فى الله بأن

يوافق "ضياء" على الإقتران بحفيدته كى لا يتركها دون سند أو ونيس لأن وجود زوج هو أكبر سند للفتاة فى حياتها.

رافقت الجدة "تماضر" حفيدتها إلى القصر لتقيم معها عدة أيام وأسعد هذا "ضياء" كثيرا لأن مشاهدته لأم زوجته هناء يعيد إليه ذكرى أيام لعبهما معا أثناء فترة الطفولة .. أرسلت الجدة فى طلب زوجة حسنين افندى ناظر العزبة وجلست الإثنتان تتحدثان وهما فى نفس العمر تقريبا وطال الحديث بينهما ثم عرضت زوجة ناظر العزبة فكرتها والتى سبق وأن عرضتها على "بسمة" منذ أسبوعين وسألتها الجدة عن كيفية اقناع "ضياء" بتلك الفكرة؟

أجابتها السيدة بأنه يمكنها أن تقنع زوجها حسنين افندى وهو بدوره يقنع ضياء وبهذا نجمع شملهما فى العزبة والقصر طالما أفتى شيخ المسجد بأنه يجوز زواجهما .. اتفقت السيدتان على تنفيذ خطة هذا الاقتراح ولكن بعد أن ترسل الجدة لزوجة ناظر العزبة بتوقيت البدء حيث أنه جاءها خاطر وتنوى البدء به.

أذكريني بذكرياتكِ ... أبدا لن أنساكِ

تحرك الأسطى جمعة السائق بالسيارة التى تقل "ضياء" فى جولة بالعزب المجاورة لتقديم التهنئة لأحد أصدقاءه على قيام ثورة الجيش بقيادة اللواء محمد نجيب .. بعد إنتهاء الزيارة عادا مستخدمين الطريق الترابي الذي يمر من أمام منزل عم نصر صاحب كبانية الجاز .. توقفت السيارة وتساءل ضياء.

- خير ياعم جمعه؟

- أبدا يا بيه. يظهر أن فيه مشكلة فى موتور العربية أشوفه وعشر دجايج ونمشى ..

- طيب .. أنزل اسلم على عم نصر والخالة تماضر .. غادر السيارة ولكنه لم يتجه إلى الدار بل أتجه إلى مخزن أعلاف البغال والذى يحمل له كل ذكرى طيبة .. مجرد أن أصبح بداخله توقف مشدوها لا يقوى على النطق .. تساءل متوترا:

- مين "هناء"؟ بعزوبة صافية ابتسمت له ومدت يدها إليه فأقترب منها محاولا الإلتصاق بها فإبتعدت عنه قليلا متسائلة:

- ألا زلت تشتاق الىّ؟

أدمعت عيناه قائلاً:

- الاشتياق شيء ما أسهله. إنه٨٥أكثر من الإشتياق، إنه شيء

عال القيمة لا أستطيع أن أنام أو أصحو بدونه .. أنا دائما التفكير بكِ .. لكن كيف عدتِ حبيبتي؟ تعيد ضحكتها الناعمة الحالمة:

ـ كل هذا تسببت به، أعتذر لك عن كل شيء حدث ولكن سأطلب منك شيئا تفكر فيه قبل أن تفعله.

ـ أنا مصغي إليك حبيبتي .. تحدثي وقولي ما ترغبين.

ـ ضياء .. تقدم للزواج من إبنتى "بسمة"

ـ ماذا تقولين؟ .. أفتر حبك لي؟

ـ أبدا ولكن لا يوجد حب بين البشر فى الحياة الدنيا وبين الأرواح فى البرزخ ولهذا أطلب منك أن تقترن بإبنتى حبيبتي إلا إذا كنت كارها لي؟

ـ لا يجب أن تقولي هذا فكل مساء أذهب إليكِ فى مرقدك وأبثك لواعج حبى وهيامي.

ـ أيها المجنون، أيعقل هذا؟ أيعقل أن يخاطب إنسان مازال على قيد الحياة جثة تحللت .. انتبه حتي لا تفقد عقلك

ـ لقد فقدته بفقدك

ـ لا تقل هذا .. استكمل مشوار حياتنا السابقة واعمل على اقترانك بابنتي وتزوجها وسوف تنجب ولدا فأطلق عليه اسم عبد الوهاب وبنتا فلتطلق عليها اسم "هناء"

سمعا نداء من خارج المخزن.

ـ خلاص يا ضيا افندى العربية جاهزة.

قدمت له التحية طالبة منه عدم ذكر ما حدث لاى إنسان.

ـ فاهم .. لاى إنسان

ـ حاضر مش حأجول لحد خالص ومع الف سلامه وحأعمل كل اللى جولتى عليه.

غادر مخزن الأعلاف فقابله عم نصر والد هناء.

ـ أهلا يا ابني .. خير؟ كنت فين ؟ تعالى نجعد شويه فى الدار نتحدت

ـ مرة تانيه يا عم نصر.

ـ مالك كف الله الشر متغير ومش على بعضك؟

ـ أبدا .. مافيش .. تعبان حبتين

ـ ألف سلامه .. على كل حال أنا عايز أشوفك واتحدت معاك .. وابجي سلملى على البت "بسمة"

ـ حاضر وانا مش باشوفها بجالى كام أسبوع .. ياترى عامله إيه؟

ـ بجت حاجه حلوه مش تفرج عن المرحومة فى أيتها شي غير سنها .. لكن الخالج الناطج المرحومة هناء

أسرع ضياء بمغادرة المكان بعد أن ضرب الرجل على أوتار قلبه .. تحركت السيارة فى اتجاه العزبة بينما أقبلت الجدة على حفيدتها تسألها عما حدث بينها٨٧وبين ضياء .. بكت الفتاة من

صدق مشاعره تجاه أمها وسألت الجدة:

ـ ده ينفع يا ستي؟ ونعمل كده فى ضيا حتى نخليه يوافج على جوازه منى .. أنا حزينه وزعلانه.

ـ ايوه يا حبيبتى .. كل عمل حلو بنمهد له الطريج بأى وسيلة ما دام مش ح نضر حد أو نكذب على أيتها نفر.

ـ إزاى يا ستى؟ انا كذبت عليه ولبست شخصية أمي وطلبت منه انه يجوزنى.

ـ أبدا يا نور عينى .. أمك هيا اللى رشحتكِ له .. مش تعرفى انها جالت له جبل ما يطلع السر الإلهى "خالى بالك من بسمة بنتى" عارفه كده؟ .. ده معنته إيه؟ .. إنك تكونى تحت جناحه وهو يحميك ويبجى راجلك وهو أحسن من الغريب .. كل الأغراب طمعانين فيك وفى أرضك .. إفهمى يا حبيبتى. كمان إحنا عايزين نعالجه من الحالة اللى بجى عليها ويروح الترب فى إنصاص الليالى والناس حتطلع عليه "ضيا الأهبل " ويزفوه فى البلد كلتها .. حرام .. إسمعى كلام ستك وربنا حيكرمك، وانا من بكره حأبعت لمرات ناظر العزبة اعرفها بأننا جاهزين زى ما سبج وإتفجت معاها.

جلست الجدة تفكر فيما اتفقت عليه مع زوجة ناظر العزبة لحل مشكلة ضياء سواء النفسية أو زواجه من حفيدتها.

أسرع الشاب إلى قصره محمومًا وظل يفكر فيما

عرضته عليه حبيبة قلبه "هناء" .. لقد فضلت أن تقابله نهارا وفى مكان الذكريات هذا ولكن المدهش أن تطالبه بالاقتران بابنتها.

تساءل : أعتقد ان هذا غير جائز شرعا ولكن حينما أقرر سوف أسال أهل الذكر لأتأكد من صحة ما قالت .. كما أنها طالبتنى بعدم التوجه إليها ومحادثتها واحتمال أن بعض أهل البرزخ تضايق من حديثى معها أو أقلقت راحتهم ؟ سوف أقوم بزيارتها فى المواسم والأعياد كما يفعل غالبية الناس.

مساء أقبل ناظر العزبة يعرض بعض الأمور عليه فوجده هامدا متعبا فسأله عما به لكنه لم يفصح .. نظر إليه الرجل العجوز ووجد أن الفرصة سانحة لتنفيذ ما طلبته منه زوجته.

- يا ضيا يا أبنى .. مش بتجوز ليه؟ نظر إليه قائلا بتهكم ..

- أجوز!! أجوز مين؟

- تجوز ست البنات ..

- ست البنات!! مين هيا؟

- حيكون مين غير بنت سعادة الباشا "بسمة" هانم

- هوا ده ينفع يا عم حسنين؟

- ايوه يا أبنى لأنك ما دخلتش بالمرحومة أمها

- تفتكر حتوافج انها تتجوزنى؟

- نسألها ونعرف منها

- نسأل مين دا لسه صغيرة

- لسه صغيره!! .. حيلك دا بجت عروسه تشرح الجلب ..

سمعا طرقا على الباب .. أذن ضياء بدخول الطارق

- مساء الخير .. انا مش شفتك من مدة .. بدهشة!!

- مين ؟ هناء ؟ جصدى "بسمة"

- ايوه بسمة .. أنا بفكر أروح أزور جدتى بكره .. عايز حاجه؟

- لا.. لا .. مع السلامة .. غادرت الحجرة فجلس مضطربا ونظر إلى ناظر العزبة.

- إيه ده ياعم حسنين؟ بسمة الخالق الناطج أمها

- شفت كلامي صَح إزاى

- طيب أعمل إيه فى كلامك اللى جلت لي عليه؟ مخبيش عليك المرحومة جابلني خيالها .. فيه إيه ياعم حسنين؟

- يا ابني حتفضل على الحال ده كتير؟ .. محدش بيعمل كده

- خلاص آخر مره جابلتنى وطلبت منى أجوز بسمة بنتها

- طيب الحمد لله .. بص .. تروح بكره لجدها وإطلبها منه

- وإذا رفضت؟

- ما فيش مشكلة وتبجى نفذت كلام المرحومة وهيا تبجى تزعل من بنتها وتيجى تزورك وتشكرك

- ايوه صحيح فكره هايله

عصر اليوم التالي توجه ضياء إلى دار عم نصر المجاور لكوبانية الجاز وبعد أن جلس بعض الوقت معه ومع الخالة "تماضر" عرض عليهم رغبته .. إبتسم الرجل مناديا على حفيدته.

- بسمة

- نعم يا جدي

- ضياء طالب أيدك .. رأيك أيه؟

- اللى تجوله يا جدي حأعمله

- لا انا عايز رأيك .. بتحبى ضياء ؟

- ايوه يا جدي. كل اللى كان يحب ماما أنا بأحبه

أطلقت الجدة عدة زغاريد جمعت نساء وأطفال الحتة ومنهم بالطبع أم ضياء "فريدة" والجميع قدم مباركته لهذا الزواج

تركت "بسمة" الناس والجيران تقدم تهانيها للجد والجدة وتبعته الى مخزن العلف وهناك جلس يملى نظره منها قائلا سبحانك يا ربى

تم الزواج بين كل من ضياء خضر وبسمة الزهيرى وأنجبت له طفلا أطلق عليه اسم عبد الوهاب تيمنا باسم جده الباشا ثم طفلة أطلقا عليها اسم "هناء" تيمنا باسم الجدة هناء.

هكذا دارت الحياة دورتها بالبشر كما ضم الموت بشرا وخلق الله آخرين لتستمر وتيرة الحياة مثل وتيرة الشمس والقمر والليل والنهار ولله فى خلقه شئون.

تمت بحمد اللـــه

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق الرسمية

٢٠٠٨/١٥٣٨٠

رقم الإيداع الدولي: 977-17-5893-4

مؤلفات الكاتب:

* الناس والحـــــرب .. الطبعة الثانية مـــــايو ٢٠٠٩
* رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيـــو ٢٠١٠
* مصر التـــــــــي .. الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠١٣
* نُص نقـــــــــل .. الطبعة الثانية يولـــيو ٢٠٠٩
* مُسافرٌ زاده الخيال... الطبعة الثانية سـبتمبر ٢٠١٢
* حُورية بين النخيل .. الطبعة الثالثة نوفـمبر ٢٠١٣
* الحب والحرمـــان .. الطبعة الثانية نوفـمبر ٢٠١٣
* همســـات مصرية
* صوت المـــــلاك
* بنت الباشـــــــا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
* بُثينـــــــــــــه
* عابد المصـــــرى
* لقاء في الطـــائرة
* العصـــفور وأنا .. الطبعة الثانية نوفـمبر ٢٠١٣
* رجاله ورق للبيـــع .. ملهاة
* أيام من عمـري .. الطبعة الثانية نوفـمبر ٢٠١٣
* فـــهد اللـــيل
* رحلة الألف يوم .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣